النفحات السؤادية

شرح المنظومة السداسية

لأبي الخطاب الكلوذاني

العلامةِ الفقيهِ أبي الخطَّاب محفوظِ بنِ أحمدَ بنِ حسنِ الكَلْوَذَانيّ الحنبليّ

(٤٣٢- ٥١٠هـ)

والشرح

لأبي المنذر فؤاد بن يوسف أبو سعيد

إمام وخطيب مسجد الزعفران بالمغازي

ومن دعاة الوزارة

في

يومٍ علميٍّ بمسجدِ

أهلِ السنةِ- خان يونس- غزة هاشم

ربيع الأول- ١٤٣٨هـ، وفق: ديسمبر- ٢٠١٦م

إنَّ الحمدَ لله، نحمَدُه ونستعينُه ونستغفرُه، **ونعوذُ بالله** من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، **من يهدِه** اللهُ فلا مضلَّ له، **ومن يضللْ** فلا هاديَ له، **وأشهدُ** أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، **وأشهدُ** أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**}**. (آل عمران: ١٠٢)

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً**}**. (النساء: ١)

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً**}**. (الأحزاب:٧٠- ٧١)

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، **وخيرَ الهدي** هديُ محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، **وشرَّ الأمورِ** محدثاتُها، **وكلَّ** محدثةٍ بدعة، **وكلَّ** بدعةٍ ضلالة، **وكلَّ** ضلالةٍ في النار.

أعاذنا الله وإياكم من النار، **ومن كل** عمل يقرب إلى النار، **اللهم** آمين.

كنت أُذكِّر إخواني عند المجيء وأقول لهم: **أصلِحوا** النية، **أخلصوها** لله سبحانه وتعالى، **حتى** يأخذ الإنسانُ الأجرَ والثوابَ من الواحدِ الوهاب سبحانه وتعالى، **فإذا** أخلصت النية لله يأتيك أجرٌ عظيم، **ستجد** غِبَّه ونتيجته، **عاجلاً وآجلاً** بأمر الله سبحانه وتعالى، قال سبحانه مبينا شرط الإخلاص في العبادات كلِّها، وفي الأعمال في سورة البينة: **{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ}**، هذا العمل العبادة، ولا بد معه من **{مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}**. (البينة: ٥)

ثمّ هذه المنظومة؛ منظومةٌ علميّةٌ تجاوزَتْ الأربعين بيتًا، **لعلّ اللهَ** عزَّ وجلَّ أن ينفعني وإياكم ومن يستمعها أو يقرؤها فيما بعد في الدنيا والآخرة، **اللهم** آمين.

ولا بد للعلم والعلوم الشرعية خصوصا أن تُحفَظَ، **حتى** لا تضيع أو تُنسَى، **فالحفظُ** في الصدر وفي الكتب، **فلابد** من حفظٍ في الصدر وهو أولى، أو في القِمطر وهو الكتاب؛ **أي** يكتب في كتاب، وقديما

قيل: (**ما حُفِظ فَرَّ، وما كُتِب قَرَّ**)، ([1]) ما حفظ فر، أي أنه سريعا ما يفر، **وينساه** الإنسان، وما كتب بقي وقر، **ولذلك** نجد أن الكتب مكتوبة حتى الآن، **وتوجد مخطوطات** بخطوط أصحابها حتى الآن، منذ مئات السنين، **يعني** أكثر من ألف سنة ربما يكون موجود منها بعض النسخ بخط النسخ قديما، كنسخة المصحف الشريف، أو نسخة البخاري أو مسلم أو ما شابه ذلك، **والأفضل الجمع بينهما**، أي بين الحفظ والكتابة؛ لأن للكتب آفات.

وجاء لأبي سعد بن دوست ([2]) وهو أحد العلماء:

عَلَيْكَ بِالحِفْظِ دُونَ الكُتْبِ تَجْمَعُهَا *** فَإِنَّ لِلْكُتْبِ آفَاتٍ تُفَرِّقُهَا

المَاءُ يُغْرِقُهَا وَالنَّارُ تَحْرِقُهَا *** وَاللِّصُّ يَسْرِقُهَا وَالفَارُ يَخْرِقُهَا

إذاً ما دام يوجد حفظ يفر أيضا الكتب تتعرض للآفات.

ومن طرائف ما يروى في المحافظة على الكتب وأوراق العلم ما يرويه المبرد: (أن رجلا أتى الأصمعي **فسأله** أن يكتب له شيئا من العلم فكتبه له، **فلما كان** بعد أيام عاد إليه فقال: يا أبا سعيد إن ذلك القرطاس الذي كتبته لي سقط مني فأكلته الشاة، =وقع منه فأكلته العنز أو الخراف،= **فأُحب** أن تكتب لي غيره ثانيا، **فكتب** له، وكتب أيضا:

قل لبغاة الآداب ما وصلت *** منها إليكم فلا تضيعوها

ضمنوا علمها الدفاتر والحبر *** بحسن الكتاب أوعوها

إن اشتريتم يوما لأهلكم *** شاة لبونا فلا تجيعوها

([1]) قاله الخليل بن أحمد رحمه الله، انظر (جني الجناس) للسيوطي (ص ١٨٤)، (التمثيل والمحاضرة) لعبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ) (١/ ١٦٠).

(٢) جاء في (سير أعلام النبلاء) للذهبي ط الرسالة (١٨/ ٤٩١) رقم (٢٥٤): [شَيْخُ الشُّيُوْخِ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ النَّيْسَابُوْرِيُّ، القُدْوَةُ، الكَبِيْرُ، العَارِفُ، أَبُو سَعْدٍ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ دَوَّسَتْ دَادَا النَّيْسَابُوْرِيُّ نَزِيْلُ بَغْدَادَ.... مَاتَ سَنَةَ تِسْعٍ وَسَبْعِيْنَ وَأَرْبَعِ مائَة)]. انظر (تاريخ إربل) للمبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإربلي، المعروف بابن المستوفي (المتوفى: ٦٣٧هـ): (١/ ٢٥١).

فإن عجزتم ولم يكن علف *** يشبعها عندكم فبيعوها ([٣])

أي بع الشاة وأبْقِ على الكتاب موجودا عندك.

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنه قَالَ: (**خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ**) =وهو المكان الذي كان يجتمع فيه الفقراء في آخر المسجد= (فَقَالَ: "**أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ إِلَى بُطْحَانَ أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ**") =موضعان قريبان من المدينة=، ("**فَيَأْتِيَ كُلَّ يَوْمٍ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ زَهْرَاوَيْنِ**") =وكانت أحب الأموال إلى العرب الإبل، **فيخرج** ميلين أو ثلاثة من المدينة فيرجع بناقتين سمينتين، **ونأتي إلى زماننا** ما الرأي أن تخرج مثلا من خان يونس وتأتي إلى مكان معين، **أو تأتي** من خارجها إليها حتى تكسب سيارتين مثلا من الراقيات الثمينات جدا، **وهنا قال:** ناقتين كوماوين، أغلا وأثمن ما عند العرب= ("**فَيَأْخُذَهُمَا فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟**") =لا عن طري الرّبَا ولا اليانصيب! ولا القمار ولا ما شابه ذلك، **ما حكمها هذه؟** ما شاء الله الكلُّ يحبّ ذلك= (فَقُلْنَا: **كُلُّنَا يَا رَسُولَ اللهِ! يُحِبُّ ذَلِكَ**) قَالَ: ("**فَلَأَنْ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَيَتَعَلَّمَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ عز وجل خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنْ الْإِبِلِ**")- ([٤])

فنسأل الله أن نكون من هذا الصنف الذي يأخذ هذا الثواب العظيم إن شاء الله سبحانه وتعالى.

[فإن الله سبحانه =وتعالى= قد بعث نَبِيّه بالهُدى والنور، **فنصح** وبَلّغ، **وبَيّن** وأرشد، **حتّى** أتاه اليقين، **وقد ترك أمَّتَه** على المحجة البيضاء، **ليلها** كنهارها، **لا يزيغ عنها** الا هالك، **وعلى ذلك** مضى أصحابه، والتابعون لهم بإحسان.

ثم ظهر -لضعف الإيمان، **والأخذ** عن علوم السابقين، **واعتماد** العقل، **واطِّراح** النقل- =ظهرت= طوائف متعددة، **تكلمت** في الاعتقاد، **بما قدّمته** عقولها وما تخيلته تصوّراتها، **فأولوا** نصوص الكتاب والسنة

([٣]) (تقييد العلم) (ص١٤٧) و (كيف تقرأ كتابا): (ص٨٤).

(٤) (حم) (١٧٤٤٤)، (م) ٢٥١- (٨٠٣)، (د) (١٤٥٦).

بما يوافق مذاهبهم، =يعني هو يعتقد ثم يستدل على اعتقاده، لا يأخذ الدليل الأول للاعتقاد=، ورَدّوا أخبار المصطفى؛ =صلى الله عليه وسلم وذلك= لتقوى طرقهم.

فقيّض الله لهذا الدين من ينفي عنه **انتحالَ** المبطلين، **وتحريفَ** الغالين **وتعرّضَ** الطاعنين.

ثم لم يزل هذا الصراع بين فِسطاط =بكسر الفاء أو بضمها، أي خيمة= السنة وأهلها، وفسطاط =وأهل= البدعة ومتّبعيها؛ تحقيقاً لخبر الصادق المصدوق؛ عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ، عَنْ ثَوْبَانَ، =رضي الله تعالى عنه= قال: قَال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"لَا تَزَال طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ"، وَلَيْسَ فِي حَدِيثِ قُتَيْبَةَ: وَهُمْ كَذَلِك"**. (٥)

وفي خِضَمِّ هذا الصراع؛ حرص أهل العلم الكبار، وأهل التبرير من غيرهم، =يعني غير العلماء من الدعاة= على تدوين عقائدهم؛ لئلا يُرموا بما لا يعتقدونه، أو يُتهموا بما لا يدينون به، ولكي يكون سبيلاً يسلكه من تتلمذ على أيديهم، أو =من= اقتفى سبيلهم، أو كان من تابعيهم.

ومن هنا برزت =المعتقدات و= هذه الأجزاء الصغيرة =والمتون القليلة البسيطة= المعروفة بالمعتقدات.

ومن بين المعتقدات التي اشتهرت بين أهل العلم، **المنظومة الداليّة** لأبي الخطّاب؛ محفوظ بن أحمد الكلوذاني رحمه الله كتبه هانئ بن عبدالله بن محمد بن جُبَيْر].

---

(٥) (م) ١٧٠- (١٩٢٠).

ترجمة الناظم رحمه الله

- **نسبه ولقبه وكنيته:**

هو [**الكَلْوَاذَاني**؛ بِفَتْح أَولهَا وَسُكُون اللَّام، وَفتح الوَاو وَسُكُون الألِفَيْنِ، بَينهمَا ذال مُعْجمَة مَفْتُوحَة وَفِي آخرهَا نون؛ هَذِه النِّسْبَة إِلى =بلدة أو قرية تسمى= كَلْوَاذَى، وَهِي من قرى =قريبة شرق= بَغْدَاد =في العراق=، **وينسب إليْهَا**: كَلوذاني وكَلواذاني وكَلواذي.

=و= خرج مِنْهَا جمَاعَة من العلمَاء مِنْهُم؛ =صاحب هذه الدالية=؛ أَبُو الخطاب مَحْفُوظ بن أَحْمد بن الحسن بن أَحْمد الكلواذاني، الفَقِيه الحَنْبَلِيّ، كَانَ غزير الفضل، وَله شعر رَقِيق، ...]- ([٦]) ويُلقَّب بنجم الهُدى.

- **ولادته:**

ولد في الثامن من شوّال سنة اثنتين وثلاثين وأربع مئة للهجرة.

- **طلبه للعلم وشيوخه:**

فأخذ رحمه الله عن جملة من الشيوخ، وكتب بخطه كثيراً من مسموعاته.

فمن شيوخه؛

في **الحديث**: الجوهرِيّ، والعشاري، وأبو علي الجازري، والمباركي، وأبو الفضل بن الكوفي، وأبو الحسين بن المهتدي، =وهؤلاء شيوخه في الحديث، وكذلك له مشايخ في الفقه.=

وأما في **الفقه**: فقد أخذ عن القاضي أبي يعلى، =وهذا إمام من أئمة الحنابلة= ولازمه، وانتفع به، وتخرّج على يديه، مما برع في المذهب والخلاف، وأخذ أيضاً عن أبي عبدالله الوَنِّيّ، الفقه والفرائض، وبرع فيهما، وصار رحمه الله إمام عصره، وفريد وقته، في الفقه والأصول، ودرّس، وقصدهُ الطلبة.

([٦]) اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ): (٣/ ١٠٧).

- **تلاميذه ومصنّفاته:**

روى عنه: محمد بن ناصر الحافظ، وأبو المعمّر الأنصاري، وأبو طالب بن خضير، وغيرهم.

وأخذ عنه الفقه: عبدالوهاب بن حمزة، وأبو بكر الدينوري، والشيخ عبد القادر الجيلي الزاهد.

وصنّف كثيرا من الكتب الحسان..– =نذكر= منها:

١– **الهداية** في الفقه، =وخاصة الفقه الحنبلي.=

٢– الانتصار في المسائل الكبار، ورؤوس المسائل، في الخلاف.

٣– **التهذيب** في الفرائض.

٤– **والتمهيد** في الأصول– وغيرها =كثير.=

- **مكانته العلمية**، وثناء العلماء عليه:

=أثنى عليه الكثير من أهل العلم؛= قال السِّلَفي: (أبو الخطاب من أئمة أصحاب أحمد).

وقال أبو بكر بن النقور: (كان الكِيا الهراسي إذا رأى الشيخ أبا الخطاب مقبلاً)، قال: (قد جاء الفقه).

وقال الذهبي في (العبر) عنه: (كان إماماً، علامةً، ورعاً، صالحاً، وافر العقل، غزير العلم، حسن المحاضرة، جيد النظم)، =أي أنه في الشعر له باع طويل.=

- **وفاته:**

توفي رحمه الله في جمادى الآخرة سنة عشرة وخمس مئة، **و =لكن=** في تحديد الوقت اختلاف، =**لكن المتأكد منه** أنه في هذه السنة= **فقيل** في آخر يوم الأربعاء الثالث والعشرين، **وقيل:** سحر يوم الخميس، **واتفقوا** على أنه دفن يوم الجمعة.

قال ابن رجب رحمه الله: قرأت بخط أبي العبّاس ابن تيمية =وهو الشيخ المشهور= في تعاليقه القديمة: رُئي الإمام أبو الخَطّاب في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فأنشد:

أتيت ربّي بمثل هذا * فقال ذا المذهبُ الرشيدُ**

محفوظ نَم في الجنان حتّى * ينقلك السائق الشهيدُ**

أتيت ربّي بمثل هذا =مثل هذا المعتقد والطريقة، ف= رحم الله أبا الخطاب، وغفر له، وأسكنه فسيح جناته].

- **ما تمتاز به هذه المنظومة:**

تمتاز هذه المنظومة بعدة امتيازات ذكرها الأستاذ هانئ جبير في مجموعة من المميزات لهذه المنظومة، والتي استعرضها في النقاط التالية، وقد جعلها تقريبا في ست نقاط تقريبا:

١- **قِصَرُها:** إذ هي ثلاثة وأربعون بيتاً –وقد زادت قليلا لاختلاف النسخ–، =وصلت إلى خمسين أو خمسا وخمسين بيت تقريبا= وهذا مما يساعد على حفظها، وسهولة مراجعتها، وهذا القِصَر مهم =لطلبة العلم= مفيد إذ يحصل على الفوائد الغزيرة في الألفاظ المحصورة القليلة =المختصرة=.

٢- **احتواؤها** على جملة من أهم مباحث الاعتقاد، مع ما تشير اليه من توجيه واستدلال، وتأمَل قول ناظمها:

قالوا: فهل فعلُ القبيح مُرَادُهُ * قلتُ: الإرادةُ كلُّها للسَّيدِ**

لو لم يُرِدْه لَكَان ذَاك نَقيصَةً * سُبْحَانه عن أن يُعَجَّزَ في الرَّدِي**

٣- **متانة** أسلوبها، وجزالة عباراتها، مما يفيد الطالب في لغته، وبجعله حسن الأسلوب، جميل التعبير.

٤- **كون الناظم لها متقدّماً،** =في القرن السادس= ولا يخفى ما في الأخذ عن المتقدمين من الأهمية.

٥- أنه **ابتدأها بمقدمة** اشتملت على عدة توجيهات، ونصائح، ووصف فيها طالب العلم بعلو الهمة، والحرص العزم على طلب العلم، والتسابق فيه، وبذل المُهَج لتحصيله، وفي هذا تشجيع لطالب العلم، ورفع لهمته؛ بما ضرب له من مثال.

٦- أنّه جعلها **بشكل الحوار** =قال قلت= **والمناظرة**، وفي هذا فائدتان:

أ- أنه أسلوب السؤال والجواب، أسلوب يقرب المعلومة لطالب العلم ويزيدها رسوخاً في ذهنه.

ب- أن في تصوير المناظرة، والأخذ والرّد ما يعمق يقين القارئ بما يقرأ.

هذه جملة من ميزات هذه المنظومة، وإن ما يزيدها أهمية سوى ما ذُكِر، أنَّ ناظمها هو عالم فذ من كبار علماء الحنابلة، ومن مشاهيرهم، وممن شُهد له بالتبحّر في العلم].

والآن فلنبدأ بالشرح والتعليق، وغالبه أو كلُّه مأخوذ من كلام فضيلة الشيخ: عبد الرحمن بن ناصر البراك.-

وقد كان في دورة علمية فشرحها تقريبا في يومين، **وأخذ المنطوق** المسجل وكتبه عناية الشيخ: ياسر بن سعد بن بدر العسكر، ثم راجع الشيخ فيه، **وأقره** على ما فيه وخرج في كتاب، وسماه:

(**شرح القصيدة الدالية**)، طبعة دار ابن الجوزي، هي التي اعتمدنا فيها على هذا الكلام، **لكن** هذا الكلام والاختصار بتصرف مني غير مخل إن شاء الله سبحانه وتعالى.

فجعلت لكل بيت عنوانا، فأوّل عنوان نأخذه للبيت الأول:

نصيحة لطالب العلم ألا ينهمك في الشهوات والملذات

قال الناظم رحمه الله تعالى:

١- دَعْ عَنْكَ تِذْكَارَ الخَلِيْط المُنْجِدِ * والشَّوْقَ نَحْوَ الآنِسَاتِ الخُرَّدِ**

قوله: (**دَعْ عَنْكَ تَذْكَارَ**) يعني: اترك الاشتغال بتذكُّرِ الأَصْدِقَاء؛ =لأن كثيرا من الرفقاء والأصدقاء قد يلهون طالب العلم ويشغلونه عن العلم=، و(**الخَلِيط**) هو الصديقُ والصاحبُ المُخالط =الذي لا يفارقك=، و(**المُنْجِد**) هو الوفيُّ الذي يُنْجِدُ صاحبَه عند الأزمات والشدائد، وهذا هو الصديقُ حقاً.

و =ليس المعنى أن تترك الأصدقاء مطلقا، لكن لا تنشغل بهم عن العلم= والمعنى لا تَشْغَل نفسَكَ بتذكُّرِ الأصدقاء، ونزّهها عن الاشتغال بما بينك وبينهم من وِدَاد؛ حفظاً للوقت، وإقبالا على ما هو أهمّ.

(**والشَّوْقَ نَحْوَ الآنِسَاتِ الخُرَّدِ**) والشوق بالشين المعجمة، ونسخة أخرى والسوق بالسين المهملة، الشوق أن يشتاق إلى إنسان، والسوق ما يدفعك لأن تسرع خلف الآنسات الخرّد،= وقوله: (**الآنِسَات**) جمعُ (آنِسَة)، وهي: =الفتاة و= المرأةُ الأَنِيسَةُ المُؤنِسَة، =التي يأنس إليها بالملذات والشهوات.=

وقوله: (**الخُرَّد**): جمعُ (خَرِيدَة) =وهي البكر الناعمة؛ آنسة وخريدة، **والإنسان** يأنس بالمرأة، **ويأنس** بزوجته مثلا، وكيف لو كانت خريدة= وهو من الجموعِ غيرِ المشهورةِ في هذا الاسم، وفي وزن (فَعِيلَة)، بل القياس الكثير أن (خَرِيدَة) تُجمَع على (خَرَائِد)، مثل: صحيفة وصحائف.-

و(**خَرِيدَة**) تُجمَعُ أيضاً على (خُرُد)، والمراد بـ (الخريدة): البِكْرُ النَّاعِمَة.

والمعنى =في هذا البيت=: دع عنك الشَّوْقَ والتَّوَقَان بتَذَكُّر الآنِسَات والنِّسَاءِ النَّاعِمَات، ولا تُعَلِّقْ قلبَك وفكرَك بِهِنَّ، ولا تَشْغَل نفسَك بذلك؛ =**لذلك كثير من الناس يقول**: إذا تزوج طالب العلم يقولون: ضاع العلم بين أفخاذ النساء، سيصبح عنده انشغال؛ ثم المرأة تلد، ثم ينشغل بالأولاد، **لكن الإنسان** عندما يكون عزبا، وعندما يكون شابًّا قبل أن يتزوج قدر ما يستطيع يأخذ وينهل من العلم، وإلاّ ينشغل ويضيع الوقت، ويمضي العمر.

فقد قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: (**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرُّ عَلَى الرِّجَال مِنْ النِّسَاءِ**)-(٧)، وما أكثر ما صرفت فتنةُ النساء النفوسَ عن المطالب العالية، فلا بد حينئذٍ من الإعراضِ عن التعلُّقِ بالآنِسَات الحُرَّدِ والشوق نحوهن، والإسراع إليهن.

لا داعي لما لا فائدة من ورائه

قال الناظم رحمه الله تعالى:

٢- وَالنّوحَ في أطلالِ سُعْدَى إِنَّمَا * تَذكارُ سُعْدَى شُغْلُ من لم يَسْعَدِ**

=يقول: اترك النوح في الأطلال= (**وَالنَّوْحَ في أَطْلال**) أي: ودع عنك النَّوحَ وهو: البكاء، (**في أَطْلال**) جمع طَلَل، وهو البِنَاءُ البَالي، =القديم المتهالك= **وعادةُ العُشَّاقِ**؛ أنهم يذهبون إلى ديار =من كانت تعشقهم قلوبهم وتحبهم من= محبوباتهم ومعشوقاتهم ويَنُوحُون عليهنَّ، وهذا مثل قول قيس بن الملوح بن مزاحم، المعروف بـ (مجنون ليلى):

أَمُرُّ عَلَى الدِّيَارِ دِيَارِ لَيلَى ..- أُقَبِّلُ ذَا الجِدَارَ وذَا الجِدَارَ

وَمَا حُبُّ الدِّيَارِ شَغَفْنَ قَلبِي ..- وَلَكِنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيَارَ

نسأل الله السلامة من مرض العشق وسائر الأوبئة والأمراض والأسقام.

فالناظمُ رحمه الله يقول أيضاً: دع عنك النَّوحَ والبكاءَ على مَنْ تعلَّق قلبُك بها، **وكَنَّى** عن جِنْسِ المرأة بـ (سُعْدَى)، =وهي تعني أي امرأة تأتي على بالك تسمى سعدى، فهو يقول لك: ابتعد عن هذه التي تشغلك عن هذا، **وهؤلاء هم** من يثور فيهم الحبُّ عن طريق البعد، يعني هو لا يأخذها زوجة ولا ما شابه ذلك.

وانتشر ذلك؛ اليوم بين الشباب والفتيات عبر الشبكات العنكبوتية، وهو كثير جدًّا، يحدث الحبُّ وهكذا لكن ما يصير بينهم أمر شرعي كالزواج ونحوه.=

---

(٧) (م) ٩٨- (٢٧٤١).

ثم قال: (**إِنَّمَا تَذْكَارُ سُعْدَى شُغْلُ مَنْ لم يَسْعَدِ**)، يعني: أن الاشتغال **بتذكر** الجَمَال، **وتذكر** الحُبِّ، **وتذكر** المتعة، هذا كلُّه شُغْلُ مَن لم يَسْعَد السعادةَ الحقيقيَّة، **فتضيع عليه** أوقاتُه بهذه الذِّكرَيَات الذاهبة الضائعةِ، **فيبقى قلبُه** يطوف في مواطن ومحاسن من فُتِنَ بهنَّ من النِّسَاء وفي محاسِنِهِنَّ.

وقوله: (**مَنْ لَمْ يَسْعَدِ**) أصله: (مَنْ لَمْ يَسْعَدْ) بجزم الفعل المضارع، ولكن وقع الكسر من أجل القافية.

الأخذ بنصيحة الناصح

قال الناظم رحمه الله تعالى:

٣- واسْمَع مَقالي إن أردتَ تَخَلُّصًا * يومَ الحسابِ وخُذْ بِهَدْيي تَهْتَدِ**

(**واسْمَع مَقالي إن أردتَ تَخَلُّصًا**) =الآن= بدأ الناظمُ رحمه الله بتقديم النصائح لقارئ هذه المنظومة، فقال: (**وَاسمَعْ مَقالي**) أي: اسمع سَمَاعَ قَبُولٍ واستجابةٍ =وليس أي سماع عابر= لما سأقوله وأُبَيِّنُه لك.

قوله: (**إِنْ أَرَدْتَ تَخَلُّصاً يَومَ الحِسَابِ**)، أي: إن أردت النجاة يوم الحساب من العذاب، ومن شدائد يوم القيامة فاسمع مقالي وأصغ لما سأقوله لك.

وقوله: (**وَخُذْ بِهَذَا تَهْتَدِي**) يعني: خذ بهذا القول الذي سأقوله لك في هذه المنظومة، وأمَّا نسخة: (**خُذْ بِهَدْيِي**) يعني: خُذْ بما سأقدِّمُه =وأسوقه= لك من دلالةٍ وإرشادٍ؛ تهتدِ إلى الصواب وطريق الحق، فهذه أيضاً نصيحةٌ من النصائح.

فمعنى هذا أنه صَدَّرَ هذه المنظومة بنصائحَ لكلِّ مسلم، **ولا سيما** طالب العلم =منهم على وجه الخصوص.

منهج الإمام أحمد يقتدى به

قال الناظم رحمه الله تعالى:

٤- وَاقصِدْ فَإِنِّي قَدْ قَفَيْتُ مُوَفَّقَاً * نَهْجَ ابنِ حَنْبَلٍ الامَامِ الأَوْحَد**

(**وَاقصِدْ فَإِنِّي قَدْ قَفَيْتُ مُوَفَّقَاً**)، قوله: (**اقصِدْ**): أي اقصِدْ بقلبِك =كما ذكرناكم في البداية أن أخلصوا النية لله سبحانه وتعالى، **وسعيك وجِدّك** توجه إلى نهجَ الإمام أحمد بنِ حنبل رحمه الله، فكأنه يقول: اقصد ما قصدتُ وما قَفَيتُ من مذهب الإمام أحمد ومنهجه، امش عليه وعلى طريقه، منهجك هو الكتاب والسنة، وطريق وهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم من السنة النبوية.=

وقوله: (**وَاقصِدْ فَإِنِّي قَدْ قَفَيْتُ**)، وقع في نسخةٍ: (**وَاقصِدْ فَإِنِّي قَدْ قَصَدْتُ**)، وكلا النسختين مؤداهما متقارِبٌ، فإن من قَفَا وتَبِعَ إماماً فإنَّه يتبعه بقصده وبموافقته.

=**لذلك التلمذةُ أوّل** ما تكون على مذهب معين، فإن تخيرت من الأقوال والمذاهب، أن تختار فيما بعد فاختر القول الذي يسانده الدليل.=

وقوله: (**مُوَفَّقَاً**) هي حال من الفاعل، يعني: حال كوني موَفَّقَاً، **ويحتمل أن** تكون حالا من ضمير الفاعل في (**اقْصِدْ**)، =حال كونك موفقا، جائز الأمران إن شاء الله= وهو المخاطَب.

وهذا إمَّا أن يكون من باب الرجاء، يعني: أرجو أن أكون مُوَفَّقَاً، **وإمّا** أن يكون لبيان أنَّ ما سلكه من عقيدة الإمام أحمد =رحمه الله= حقٌ وصوابٌ، **فإن الانسان** إذا سار على طريق الحقِّ والصواب فلا ضير أن يقول: إني ولله الحمد مُوَفَّقٌ حيث سلكتُ هذا الطريق.

(**نَهْجَ ابنِ حَنْبَلٍ الامَامِ الأَوْحَد**)، وقوله: (**نَهْجَ ابنِ حَنْبَلٍ**) أي: منهجه وسبيله الذي سار عليه في اعتقاده وفي سيرته رحمه الله ورضي عنه.

و (**ابنُ حَنْبَلٍ**) هو الإمام أحمد بنُ حنبل، ..- الإمام الشهير.

وقوله: (**الإمَامِ**) هذا صحيحٌ فإنه رحمه الله كان إماماً في زمانه، =ومن بعده لا يأتي مثله= حتى صار قدوةً لمن بعده.

وقوله: (**الأَوْحَدِ**) هو أفعل تفضيل من (**الوَحْدَة**)، و (التَّوَحُّد)؛ لأنه صار فريداً في زمانه، وهذا مِثْلُ قولهم: (**فَريدُ مِصْرِه، وَوَحِيدُ عَصْرِه**).

فالإمام أحمد رحمه الله أوحدُ من غيره، وأكثر تفرُّداً من غيره، **وهذا ما يقتضيه** أفعل التفضيل التي عبَّرَ بها الناظمُ.

فالناظمُ رحمه الله لم يقل: (**الامام الوحيد**)، بل زاد في الثناء فقال: (**الامَامِ الأَوْحَدِ**).

الإمام أحمد من خيار العلماء

قال الناظم رحمه الله تعالى:

٥- خَيرِ البَرِيَّةِ بَعْدَ صَحْبِ مُحَمَّدٍ ..- وَالتَّابِعِينَ إِمَامِ كُلِّ مُوَحِّد

=هذا البيت= فيه الثناء على الإمام أحمد رحمه الله فيقول:

(**خَيرِ البَرِيَّةِ بَعْدَ صَحْبِ مُحَمَّدٍ**) (خيرِ البَرِيَّة)، خيرُ البَرِيَّة مطلقاً هو نبيُّنا =ورسولنا= محمَّدٌ صلى الله عليه وسلم، لكنَّ الناظمَ رحمه الله قيَّد خيرية الإمام أحمد بقوله: (**بَعْدَ صَحْبِ مُحَمَّدٍ وَالتَّابِعِينَ**)، وفي هذا التقييد احترازٌ عظيمٌ خرج به الناظم من المبالغة الشديدة في المديح، =الذي قد يصل إلى الغلوّ.=

(..**- وَالتَّابِعِينَ إِمَامِ كُلِّ مُوَحِّد**) وما قاله الناظم في حقِّ الإمام أحمد يقتضي تفضيله على كل أحد بعد الصحابة والتابعين، =ويعترض الشيخ البراك حفظه الله ويقول:= وفي هذا الإطلاق والتعميم نظر، =لكنه لو قال: من خيار لكان لا شيء فيه، لكن لأنه قال خير البرية فهذا فيه نظر.=

فكأنه يقول: هو خير الناس بعد الصحابة والتابعين.

=وهذا الكلام من الشيخ البراك رغم أنه حنبلي المذهب، ومع ذلك فإنه يقول هذا الكلام، قال:= **فمع جلالة** الإمام أحمد، **وعِظَمِ** شأنه، **وما أكرمه الله به** من العلم بالسنة والفقه في الدين، والصلابة فيه، وقمع البدع والمبتدعين، لا يصح أن نقول عنه: إنَّه خير الناس.

فهو رحمه الله من خير أئمة أهل السنة، بل امتاز بِلَقَبِ **(إمام أهل السنة)**، وهذا أمرٌ معروفٌ يعترف به كل أحدٍ، فإنه لما وقعت فتنة القول بخلق القرآن كان هو أعظم من واجه هذه الفتنة =رحمه الله رحمة واسعة= بردِّه وصبره على البلاء، فقد سجن =مع أنه كبير السن= وضُرِب وجُلد وامتُحن، ومع هذا كلِّه لم يلجأ إلى التأويل الذي يتخلَّص به من هذا البلاء، مع أنَّ له به فُسْحَة، لكنَّه صَبَرَ وصَابَرَ وصَدَعَ بالحق، **فبذلك** ذاع صِيتُه، **وجعلَ الله له** بهذا الصبر لِسَانَ صِدْقٍ في الأُمَّةُ، وصار قدوةً لمن جاء بعده، و **(بالصبر واليقين تُنَال الإمامةُ في الدِّين)**.

وقوله: **(إِمَامِ كُلِّ مُوَحِّدِ)**: هذا تعبير عن كون الإمام أحمد إمام أهل السنة =رحمه الله=، فهو إمام كل موحِّدٍ من أهل عصره ومن جاء بعدهم.

والمُوَحِّد: هو كل من وَحَّدَ الله =أي هو كلّ مسلم، وهو موحد أي من وحد الله= بأسمائه وصفاته وربوبيته وألوهيته سبحانه وتعالى.

الإمام أحمد من الأئمة العلماء

قال الناظم رحمه الله تعالى:

٦- ذِي العِلْمِ وَالرَّأْيِ الأَصِيلِ وَمَنْ حوَى ..- شَرَفَاً عَلاَ فَوقَ السُهَا وَالفَرْقَد

هذا هو البيت الثالث في الثناء على الإمام أحمد رحمه الله.

(ذِي العِلْمِ وَالرَّأْيِ الأَصِيلِ وَمَنْ حوَى)، قوله: **(ذِي العِلْمِ)** =وهذه صفة للإمام أحمد=، أي: صاحبِ العلم الواسع =علا بالعلم= بالكتاب والسنة، وآثار الصحابة والفقه في الدين.

وقوله: **(وَالرَّأْيِ الأَصِيلِ)** =وهو الفقه= أي: وصاحب الرأي المكين في السداد والصواب.

(..- شَرَفَاً عَلاَ فَوقَ السُهَا وَالفَرْقَد) وقوله: **(وَمَنْ حَوَى شَرَفَاً)**.- معطوف، =أي قد تكون عطفا على العام، فتكون صفة للإمام أحمد، فقد حوى شرفا، أو تكون جملة استئنافية، ومن حوى شرفا علا فوق السها والفرقد= يعني: والذي حوى شرفاً.

قوله: (**فَوقَ السُّهَا وَالفَرْقَدِ**)، وفي نسخة: (**فَوقَ السَّمَا وَالفَرْقَدِ**)، وكأنَّ ذكر (**السُّهَا**) أنسب **=وأوفق=**؛ لأنه كثيراً ما يُقْرَنُ بين السُّهَا والفَرْقَدِ، وهما نجمان معروفان، =**أحدهما** ظاهرٌ جدًّا، **والآخر** مخفيٌّ جدًّا= يعرفهما أهل الشأن، **ويقال لهما** من باب التغليب: (**الفَرْقَدَان**)، =كما يقال عن عمر وعمرو: العمران، والأب والأم: أبوان، والشمس والقمر: قمران من باب التغليب.=

و (**السُّهَا**) يُقال إنَّه نجمٌ خَفِيٌّ، وأمَّا (**الفَرْقَد**) فهو نجمٌ نَيِّرٌ واضحٌ، يعرفه المهتمُّون بالنجومِ ومنازلِها.

ويحتمل أنَّ يكون قوله: (**وَمَنْ حَوَى شَرَفَاً**) كلاماً مستأنفاً يُبيِّن به النَّاظمُ؛ أنَّ مَن حوى شَرَفَاً فقد عَلاَ فوق السُّهَا، يعني علا قَدْرُهُ وارتفعت =مكانته **و= منزلتُه**، والإمام أحمد كذلك حوى شرفاً عظيماً؛ **شرف** العلم والتقى، **وشرف** الجهاد والصبر، **فلا غرو** حينئذٍ أن يَتَبَوَّأَ رحمه الله هذه المنزلةَ العظيمةَ.

ولعلَّ هذا التوجيهَ هو الأقرب، وهو اعتبار أن هذه الجملة مستأنَفَة، =حتى يحثَّ طالبَ العلم على الاجتهاد والعمل، **ويرتفعَ** منازلَ في الدنيا والآخرة، **فصاحبُ العلم** مرتفع العلم له.

النصيحة بالاتباع لا بالتقليد والابتداع

قال الناظم رحمه الله تعالى:

٧- وَاعْلَمْ بِأَنِّي قَدْ نَظَمْتُ مَسَائِلاً ..- لَمْ آلُ فِيهَا النُّصْحَ غَيرَ مُقَلِّد

(**وَاعْلَمْ بِأَنِّي قَدْ نَظَمْتُ مَسَائِلاً**) =والكلام هنا موجهٌ لطالب العلم= قوله: (**وَاعْلَمْ**) أي: يا طالب العلم، ..- وقوله: (**اعلم**) يدل على أهمية ما يأتي بعده.

قوله: (**قَدْ نَظَمْتُ مَسَائِلاً**)، أي: من مسائل الاعتقاد.

وقوله: (**مَسَائِلاً**) هي بالتنوين من أجل الوزن، =والضرورة الشعرية= وإلا فـ (مسائل) من صيغ منتهى الجموع، وهو لا ينصرف.

(..– **لَمْ آلُ فِيهَا النُّصْحَ غَيرَ مُقَلِّد**) وقوله: (**لَمْ آلُ فِيهَا النُّصْحَ**) أي: لم أُقصِّر فيها، بل اجتهدتُ في نظمها نصحاً للعباد.

وقوله: (**غَيرَ مُقَلِّدِ**) أي: أنا فيها متَّبِعٌ غير مقلِّد فيها لأحدٍ، =مع أنه يقلِّدُ فيها الإمام أحمد؛ لكن هو ما قلَّده لكنَّه اتبعه لأنه جاء بالأحكام بأدلتها الشرعية.=

فالناظمُ رحمه الله وإن ذكر أنه مقتفٍ لنَهْجِ الإمام أحمد؛ الا أنَّه متَّبِعٌ له لا مقلِّدٌ له، وفَرْقٌ بين (الاتباع) و (التقليد).

ف (الاتباع): هو الموافقة والاقتداء بالسَّلَف الصالح في منهجهم الواضح، عن بَيِّنَةٍ ومعرفةٍ، وبصيرةٍ بما هم عليه، =أي بالأدلة=، **فالاقتداء بالعالم**؛ إنما هو باتباع منهجه –بعد معرفة أنه على الحق–، والانتفاع بفهمه وبيانه وروايته، وهذا ليس =من باب= التقليد، بل هو =من باب= الاتباع.

وأما (التقليد): فهو قبول القول بغير حجة، يعني: تقليدٌ أعمى.

فالناظم بهذا يتبرَّأُ من التقليد، وهذا شيءٌ طيِّبٌ، **وهكذا ينبغي لطالب العلم** أن يكون مقتدياً بالسلف الصالح، **وبالأئمة** على بيِّنَةٍ وعلى بصيرة، لا يكون مقلِّداً لأحد من الناس، **فلا يقول بالقول** الفلاني؛ **لأن الإمام المعيَّن** الذي يُعَظِّمُه يقول به، بل عليه أن يكون مُتَّبِعَاً لا مقلِّداً، **لكن الانتفاع** بفهم أولئك الأئمة واستنباطهم ورواياتهم، **وبيانهم هذا لا بد منه**؛ =يعني لا تأخذ من القرآن والسنة مباشرة، لابد أن تفهم هذه النصوص على فهم السلف الصالح، فهم العلماء والصحابة والتابعين، والسلسلة الموجودة من الآن إلى السلف الصالح؛= **لأن هذا العلم** إنما جاءنا من طريقهم، فلا نستبدّ عنهم بفهمٍ يُخَالف فهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين.

من سئل عن علم لا يكتمه

قال الناظم رحمه الله تعالى:

٨- وَأَجَبْتُ عَنْ تَسْآل كُلِّ مُهَذَّبِ ..- ذِي صَوْلَةٍ يَومَ الجِدَال مُسَوَّد

(**وَأَجَبْتُ عَنْ تَسْآل كُلِّ مُهَذَّبِ**)، =الذي يُسْئَل لا يَكتُم العلم، فهنا يجيب عن التسآل=، قوله رحمه الله: (**وَأَجَبْتُ**) أي في هذا النظم، (**عَنْ تَسْآل**)؛ (التَّسْآل) مصدرٌ بمعنى السؤال، =تسأل سؤالا، وتسآلا.=

والمعنى: أني أجبتُ في هذا النظم عن سؤال كل طالبِ علمٍ، =ويجب أن يتصف طالب العلم بأنه= مُهَذَّبُ الأخلاقِ، **مُؤَدَّبٌ** في طلبه للعلم من حيث قصده ومطلوبه، **وأسلوبه في السؤال**؛ =**أولا**: يكون خالصا من قلبه يريد العلم، **وثانيا**: إذا طلب العلم أن يكون بأدب، يعني لا يأتي للعالم يخوّفه ويريد منه أن يعلمه، أو يختطفه وما أظن أحدًا يفعلها، لكن عند المال ربما نجد من يفعلها، **أما مع العلم** يختطفونه ليعلمهم والله أعلم ما يوجد.=

(..**- ذِي صَوْلَةٍ يَومَ الجِدَال مُسَوَّد**) وقوله: (**ذِي صَوْلَةٍ**) يعني: صاحب قوَّةٍ في البيان والمناظرة، =يعني عندما يأخذ العلم يكون عنده الجرأة والشجاعة، ويكون= مقتدرا في ذلك، لا للانتصار للرأي بل لبيان الحق وإظهاره، =خصوصا عندما يقوم ويَسأل فهذا أدبٌ مهم جدًّا، **فهذا هو** الذي يمدح في الجدال والبيان والمناظرة والحِجَاج، **إذن تتعلم لماذا؟** لا للمناظرة؛ تناظر غيرك وتغلبه، تتعلم لله سبحانه، ولبيان العلم للناس.=

وقوله: (**يَومَ الجِدَال**) وقع في بعض النسخ: (**عند الجدال**) وهي أنسب =من قوله يوم الجدال.=

وقوله: (**مُسوَّدِ**) يعني: ذي سيادة بأخلاقه، وحصافة عقله، وحسن بيانه ومقدرته، **ومن كانت** هذه صفته كان جديراً أن يتخذه الناس سَيِّداً، =**يعني يا طالب العلم!** سيأتي يوم تكون فيه سيِّدًا، لكن اتصف بهذه الصفات.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

٩- هَجَرَ الرُّقَادَ وَبَاتَ سَاهِرَ لَيلِهِ ..- ذِي هِمَّةٍ لاَ يَسْتَلِذُّ بِمَرْقَد

(**هَجَرَ الرُّقَادَ وَبَاتَ سَاهِرَ لَيلِهِ**) =وهذه صفة طالب العلم،= في هذا البيت يثني الناظمُ رحمه الله على =طالب العلم، **ويمدح**= هذا الصِّنْف من طلاَّبِ العلمِ ذَوِي الهِمَمِ العَالِيَةِ، فقال عنهم:

(**هَجَرَ الرُّقَادَ**) يعني: ترك النَّومَ، والمراد به النوم الفضولي، =لا النوم الذي يحتاجه الإنسان=، **وأما النوم** من حيث هو فلا بُدَّ للإنسان منه، =فهو= يَسْتَجِمُّ به، ويستعِيدُ به نشاطَه وقوَّتَه، =وليس هذا هو المقصود.=

وقوله: (**وبَاتَ سَاهِرَ لَيلِه**) فهو يَسْهَرُ =الليل=؛ لكن لا كَسَهَرِ أكثر النَّاس اليوم، =علام يسهرون اليوم؟ على النَّتَنَتَة، وعلى التَّنـْتَنَة، وعلى الفسبكة، وعلى التوترة، وعلى انتظار المباشر من المباريات والكرة أو ما شابه ذلك، **وهذا في حدود المباح، فكيف بالحرام؟** عكسة النتنتة؛ التتن ومشتقاته من عائلة الدخان والسيجار الخبيثة، يقيم ليله وهو يشرب المشروبات المحرمة، والحبوب المخدرة، والأقراص المهلوسة، وما شابه ذلك، نسأل الله السلامة، فهذا ليس طالب علم.=

تجدهم يسهرون في الفضول أو على باطلٍ وحرام، **وأما هذا فسهره في طلب العلم**؛ بالمذاكرة والمجالسة لأهله، وبالقراءة واستخراج العلم من مستَودَعَاتِه وخَزَائِنِه، التي هي تُرَاثُ العُلَمَاءِ ومؤلفاتهم.

(..**- ذِي هِمَّةٍ لاَ يَسْتَلِذُّ بِمَرْقَد**) وقوله: (**ذِي هِمَّةٍ**) يعني: صاحب هِمَّةٍ عَالِيَةٍ، له طموحٌ وأهدافٌ لا يَقْنَع باليسير ولا بالقليل، =نستطيع أن نسميَه طمَّاعا في العلم=، بل يسعى في تحصيل معالي الأمور، =حتى إذا نام يفكر في العلم، رؤاه وأحلامه في العلم.=

فهو (**لا يَسْتَلِذُّ بِمَرْقَدِ**) أي: لا يستلذّ بالنومِ لهذه الهمَّة العالية، والمطلبِ الكبيرِ الذي يسعى له، فلا يأخذ من النوم إلا بأقل القليل، وهذا وصفٌ جميلٌ مَلِيحٌ.

طلبة العلم يتسابقون إلى العلا

قال الناظم رحمه الله تعالى:

١٠- قَومٌ طَعَامُهُمُ دِرَاسَةُ عِلْمِهِمْ ..- يَتَسَابَقُونَ إلى العُلاَ وَالسُّؤدَد

تعالى: قوله رحمه الله تعالى: (**قَومٌ طَعَامُهُمُ دِرَاسَةُ عِلْمِهِمْ**) أي: هذا الصنف الذي سبق وصفه في الأبيات السابقة؛ طعامُهُم وغذاؤُهُم هو دراسةُ العلمِ ومذاكرتُه، فهم يتلذَّذُونَ بطلبِ العلمِ، والسعي في تحصيلِه، ويتحمَّلون المشاقَّ في سبيلِ ذلك أكثر مما يتلَذَّذُ أصحابُ المطاعمِ والملذَّاتِ بالطعامِ والشرابِ وسائرِ اللذات.

=هذا طالب العلم بهذه الصفة يتناول من الطعام والشراب ما تيسر؛ لأنه يضيع منه وقت، فينقطع عن العلم، فما إن يتناول ما تيسر من الطعام حتى يذهب ويرجع إلى علمه مرة أخرى، وإلى طلبه.=

فهؤلاء طعامهم غذاءٌ للعقول والأرواح، وأولئك طعامهم غذاءٌ للبطون والأبدان، والفرقُ بين الفريقين كالفرقِ بين الثَّرَى والثُّرَيَّا.-

=أنت ترى ما تأكله وما تشربه وترى نتيجته، هل هو على أجمل الروائح وأجمل المناظر؟! لا والله! لكن الذي يطعم العلم ما نتيجته؟ أجمله شيء وألذه، رضا الله عز وجل، ويدلَّنا لذلك أن الملائكة تبسط أجنحتها رضا بما يصنع على طالب العلم.=

(...**يَتَسَابَقُونَ إلى العُلاَ وَالسُّؤدَد**) وقوله: (**يَتَسَابَقُونَ إلى العُلاَ**) أي: يتسابقون إلى الخيرات، ويتنافسون في تحصيلها، وهذا -ولا شك- مطلبٌ مهمٌ.

ومن ذلك: المنافسةُ في طلبِ العلم، وفي الأعمال الصالحة، وفي القيام بالمهام العظيمة، فنحن في هذه الدنيا في ميدان تنافس وسباق، =كسباق الخيل والإبل، ومسابقات الأقدام والجري والسيارات، يجعلون لها مكانا معينا، الله جعل لنا الدنيا مسابقة للآخرة، **{وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ}**. (المطففين: ٢٦)= **فنسأل الله** أن يصلح أحوالنا وأحوال المسلمين.

وقد أمر الله عزّ وجلّ عباده بالمسابقة إلى الخيرات، فقال تعالى: **{فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ}**- (البقرة: ١٤٨، والمائدة: ٤٨)، في موضعين من كتابه، وقال سبحانه: **{سَابِقُوا إلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأرض أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ}**. (الحديد: ٢١)

وأمرهم بالمسارعة، فقال تعالى: **{وَسَارِعُوا إلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأرض أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ}**. (آل عمران: ١٣٣)- **وأمرهم** بالمنافسة فقال: **{وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ المُتَنَافِسُونَ}** (المطففين: ٢٦). =وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا"**. (٨)

فالمنافسة والجري؛ كأن هناك من هو وراءك يريد أن يعيقك ويؤخرك، **فأنت تريد** أن تسبقه إلى الله سبحانه وتعالى، إلى جنة الله سبحانه وتعالى.=

قوله: **(إلى العُلاَ)** أي: إلى المنازل العالية والرتب الرفيعة، وذلك بالأعمال الصالحة النافعة، وبالجهود المخلصة الصادقة.

وقوله: **(وَالسُّؤدَدِ)**؛ أي: السيادة، ولا ريب أن من آمن واتقى نال السعادة والسيادة، ولا ريب كذلك أن تحصيل العلم النافع من أعظم أسباب السيادة، =ولو صار في هذه الدنيا فقيرا وقليل المادة، وليس له مكانة ومسئولية معينة في الناس، يعني ليس وزيرا ولا رئيسا، ولا ما شابه ذلك هو عالم بعلمه، هو سيِّدٌ بأمر الله عز وجل، يرجع إليه الوزير والمسئول وما شابه ذلك.=

فهذه هي سيرة هذا الصِّنْفِ من أهل العلم وطُلاَّبِه، فهم مشهورون بالجد والاجتهاد وطلب المعالي، والصبر والمصابرة وسهر الليالي.

---

(٨) (م) ١٨٦- (١١٨).

=الآن دخل الناظم في الكلام على العقيدة والتوحيد، وبدأ بأسماء الله وصفاته، والربوبية والألوهية؛

نعرف ربنا بآياته ومخلوقاته

قال الناظم رحمه الله تعالى:

١١- قالوا: بِمَا عَرَفَ المكَلَّفُ رَبَّهُ؟ * فَأَجَبْتُ: بِالنَّظَرِ الصَّحِيحِ المُرْشِد**

=**معرفة الله** عز وجل يدل عليه الآية والمخلوق، ما جعله الله آية كالقرآن الكريم، أو جعله آية صامتة كالجبال والأشجار وما شابه ذلك.=

(**قالوا: بِمَا عَرَفَ المكَلَّفُ رَبَّهُ؟**) هذا أول الشروع في المقصود =من النظم والقصيدة، بعد عشر أبيات من النصيحة، بقيت الأبيات في التوحيد والمنهج الصحيح=، وقد ذكر الناظمُ رحمه الله المسائلَ التي قصد بيانها بطريقة السؤال والجواب، فكل بيت فيه سؤال وجواب.

قوله: (**قالوا: بِمَا عَرَفَ المكَلَّفُ رَبَّهُ؟**) =المعروف أن (**ما**) هذه إن دخل عليها حرف الجر تحذف الألف، لكن هنا ثبتت للوزن والقافية= (بِمَا) لعل الاشباع هنا للوزن، وإلا فالأصل أن (**ما**) الاستفهامية إذا دخل عليها حرفُ الجَرِّ -كاللام أو الباء مثلاً- تُحْذَف الفُهَا، فيقال: (بِمَ) و (لِمَ)، =لكن ثبتت هنا للوزن.=

و (**المُكَلَّف**) في اصطلاح الأصوليين هو: الإنسانُ العاقلُ البالغُ.

وهذا الذي ذكره الناظمُ رحمه الله هنا هو من جنس قول الشيخ محمد بن الوهاب رحمه الله في (الأصول الثلاثة): (**إذا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفتَ رَبَّكَ؟ فَقُل: بآياتِه ومخلوقَاتِه**).

ولَمَّا ذكر الناظمُ رحمه الله السؤال عقَّبه بذكر الجواب فقال: (**فَأَجَبْتُ بِالنَّظَرِ الصَّحِيحِ المُرْشِدِ**)، أي: عَرَفَ المكَلَّفُ رَبَّه بالنظر الصحيح المرشِد.

وفي نسخة: (**بِالنَّظْمِ الصحيح**) -بالميم-، ووَجَّه رحمه الله العبارةَ بقوله: (مراده بـ (**النَّظْمِ**): النظم المعهود، وهو انتظام العالم =بأكمله= على أكمل الوجوه، كما قال ابن المعتز:

فَيَا عَجَباً كيف يُعْصَى الإلهُ ... أم كيفَ يَجْحَدهُ الجَاحِدُ

وفي كُلِّ شيءٍ لهُ آيَةٌ ..- تَدُلُّ عَلَى أنَّه وَاحِدُ)

سبحانه!

وما أثبَت هنا هو ما عليه عامَّةُ النُّسَخِ...

وقوله: (**بِالنَّظَرِ الصَّحِيحِ المُرْشِدِ**) أي: بنظر العقلِ المستقيمِ المرشِد إلى المطلوب، وذلك بالتفكر في مخلوقات الله، .. **فمعرفة الله عزَّ وجلَّ** تحصل بثلاثةِ طُرُق: =لأن الطريق قد تذكر وقد تؤنث، فقد تلفظ بثلاثة طرق، وهنا ذكرها، والطرق التي يعرف العبد بها ربه هي:=

١- **بالفطرة**، ٢- **وبالعقل**، وذلك بالنظر والتفكر في مخلوقات الله عز وجل، ٣- **وبالوحي**.

لكنَّ المعرفة الحاصلة بالفطرة وبالعقل هي معرفةٌ إجماليةٌ، =يعرف أن ربًّا خلقه، ولذلك تجد أن كل الأمم تعرف أن لها ربًّا، **ولهذا الكون** ربٌّ خالق، **لكنّ بعض الناس** قال: هي الطبيعة! **وبعض الناس** عبد ربًّا معينا؛ عبد شمسا أو قمرا، أو نجوما أو جبالا أو غيرها، **إذن فهذه** معرفة إجمالية، **لكن المعرفة التفصيلية** لا تكون إلا بالوحي.=

فالعبدُ يعرفُ رَبَّه بمقتضى الفطرة، فهو مفطورٌ على أنه لا بد له من خالقٍ؛ بل لا بد لهذا العالم كله من خالق، وهذا أمرٌ فِطْرِيٌّ.

ثم إنَّ **النظر** في السموات والأرض، **والتفكر** فيهما مما تحصل به معرفة الله عز وجل، فهذا العالم لا بد له من خالقٍ وصانِعٍ، وصانِعُه قادرٌ وحكيمٌ وعليمٌ وهكذا.

فالنظرُ الصحيحُ طريقٌ من طُرُقِ المعرفةِ، لكنَّ الطريقَ الأعظم لمعرفة الله =سبحانه وتعالى لابد أن يكون= معرفةً تفصيليةً؛ هي بمعرفة أسمائِه الحسنى وصفاتِه العليا، وأفعالِه الحكيمةِ المتضمنةِ للحكمةِ والعدلِ والرحمة، =وهذه المعرفة لا تكون إلا بوحي.=

وهذه المعرفة طريقُها الوحي الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، **{قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي اليَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ}**. (سبأ: ٥٠)، ولهذا سمَّى اللهُ الوحيَ الذي بعث به محمَّداً صلى الله عليه وسلم نوراً ورُوْحَاً؛ لأنه هو الذي به الإبصار التام، قال الله عز وجل: **{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا اليْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلَا الإيمان وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}**. (الشورى: ٥٢)

فقوله: (**بِالنَّظَرِ**) هذا صحيحٌ، فإنَّه بالنَّظَر والتفكُّر يُعْرَفُ الله عزَّ وجل، لكنه ليس هو الطريق الوحيد لمعرفته سبحانه.

وهذه المسألة التي ذكرها الناظم غير مسألة: (**أَوَّلُ وَاجِبٍ هو النَّظَرُ**)، فنحن وإن قلنا: إنَّ (**النَّظَرَ الصَّحِيحَ**) طريقٌ إلى معرفة الله عز وجل، لكننا لا نقول: بأن أول واجب على المكلف هو النظر، أو القصد إلى النظر، =كما يقول الفلاسفة وغيرهم=؛ بل هذا قولُ أهل الكلام، وهو قولٌ مُبْتَدَعٌ، =أن تقول: أن أول واجد، أن تتفكر قبل أن توحد الله، وقبل أن تقول: لا إله إلا الله، لا.=

بل إن أوَّلَ واجبٍ على المكلَّف =يهودي أو نصراني قابلناه، لا نقول له تفكر نقول له: إشهد شهادة التوحيد= هو الشهادتان؛ شهادةُ أن لا الهَ الا الله وأنَّ محمَّداً رسولُ الله.

=فإذا قالهما، نقول له بعد ذلك، تفكر وتدبر وانظر في ملكوت الله، وهناك طرق أخرى تؤكد هذا الكلام؛ أنه لا إله إلا الله=، وهذا هو مذهب أهل السنة في هذه المسألة.

وحدانية الله

وتفرده في ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته

قال الناظم رحمه الله تعالى:

١٢- قالوا: فَهَل رَبُّ الخَلائِقِ وَاحِدٌ؟ * قلتُ: الكَمَال لِرَبّنَا المُتَفَرّد**

(قالوا: فَهَل رَبُّ الخَلائِقِ وَاحِدٌ؟) هذا هو السؤال، أي: هل ربُّ المخلوقات واحدٌ، أو للمخلوقات أرباباً متعدِّدِين؟

فأجاب.. بقوله: **(قلتُ: الكَمَال لِرَبّنَا المُتَفَرّدِ)** يعني: أنَّ الكمال في الصفاتِ والأفعال هو لرَبّنَا سبحانه وتعالى، =يعني لا يوجد خالق آخر، **{هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ}**. (فاطر: ٣)؟ لا يوجد خالق غير الله.=

وقوله: **(المُتَفَرّدِ)** يعني: المتَوَحِّد، فهو سبحانه =تفرد بالخلق والإيجاد والإحياء والإماتة، فهو سبحانه= الفرد الذي لا رب غيره ولا إله سواه، فهو سبحانه لا شريك له في ربوبيته، ولا في إلهيته، ولا في أسمائه وصفاته، وهذه كلمةٌ عامَّةٌ، فهو واحدٌ في ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته.

فَإنَّ وَصْفَ الله تعالى بـ **(التفرُّدِ)** مطلقاً يتضمن أنواع التوحيد الثلاثة، فهو سبحانه واحدٌ في ربوبيته فلا رب غيره، وواحدٌ في الهيته فلا معبود سواه، وواحدٌ في أسمائه وصفاته فلا شريك له، ولا مِثْل له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، على حَدِّ قوله تعالى: **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}**. (الشورى: ١١)

وَوَصْفُهُ سبحانه **بـ (الكمال)** مطلقاً يتضمن إثبات جميع صفات الكمال =المطلق= على وجه الإجمال؛ =لأنه يوجد كمال مقيد للإنسان، الإنسان كماله مقيد؛ لأنه يموت وينام، ويحتاج للأكل ويبكي، وهذه صفات نقص.

إذن كمال الإنسان مهما وصل مقيد، **أما كمال رب العالمين** سبحانه مطلق، **فجميع صفات** الكمال على وجه المطلق،= وتنزيهه عن جميع النقائص على وجه الإجمال كذلك.

وجوابُ النَّاظِمِ عن السؤال بقوله: **(قلتُ: الكَمَال لِرَبّنَا المُتَفَرّدِ)**؛ مفادُهُ أنَّ ربَّ الخلائق واحدٌ لا ربَّ سواه، فهو سبحانه وتعالى =وحده= خالقُ كلِّ شيءٍ، ومليكُه ومالكُه، وهو الإله الحقُّ الذي لا يستحق العبادة أحدٌ سواه.

نصف الله سبحانه بما وصف به نفسه

فلا نخترع صفات جديدة

قال الناظم رحمه الله تعالى:

١٣- قالوا: فَهَلْ تَصِفُ الإلهَ؟ أَبِنْ لَنَا * قُلْتُ: الصِّفَاتُ لِذِي الجَلال السَّرْمَدِ**

(قالوا: فَهَلْ تَصِفُ الإلهَ؟ أَبِنْ لَنَا)، قوله: **(قالوا: فَهَلْ تَصِفُ الإلهَ؟)** هذا السؤال معناه: هل تثبتُ لله صفاتٍ؟ **(أَبِنْ لَنَا)** أي بَيِّن ووضح لنا مذهَبَك، أو بَيِّن لنا الصوابَ في هذه المسألة.

فأجاب بقوله:

(قُلْتُ: الصِّفَاتُ لِذِي الجَلال السَّرْمَدِ) يعني: الصفاتُ لله ذي الجلال ..- (السَّرْمَد) وهو: الدَّائِم، =كقوله تعالى: **{جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا}**. (القصص: ٧١)=

وقوله: **(السَّرْمَد)**: يحتمل أن تكون صفةً لـ (الجلال)، يعني: الجلال الدائم، فصفات الله دائمة، **ويحتمل** أن تكون صفة لله عز وجل، =وهذا من باب الإخبار، وليس من باب الأسماء والصفات.=

فهو سبحانه الدائم الذي لا يزول، فهو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخِرُ الذي ليس بعده شيء، كما عَبَّر عن ذلك الطحاويُّ في (عقيدته) المشهورة، بقوله: **(قَدِيمٌ بِلا ابْتِدَاء، دَائِمٌ بِلا انْتِهَاء)**.

=**ولكنّ كلمة** قديم ليس من أسماء الله، ولكنها من باب الإخبار، وبابها واسع.=

وهذا الجواب من الناظم فيه نوعُ إجمال، وهو جوابٌ مُقْتَضَبٌ، **ولعلّ عذرَه** في ذلك أنه في مقام نظمٍ، بل هو نظمٌ مختصَرٌ، فلا يكون الجواب فيه واضحاً كما ينبغي؛ =لأنه أثبت الصفات على وجه الإجمال.=

والمهم أنَّنا نأخذ من هذا أنَّ الناظمَ رحمه الله يُثْبِتُ الصفات في الجملة، فليس هو من النفاة المعطِّلة؛ كالجهمية والمعتزلة الذين يقولون: إنه سبحانه وتعالى لا تقوم به أيّ صفة؛ بل هو بهذا الجواب معدودٌ في المُثْبِتَة؛ مُثْبِتَةِ الصِّفَات.

=**من هم المثبتة الذين يثبتون الصفات؟** المثبتة يدخل فيه من يثبت الصفات ولو في الجملة.=

لكن ليُعْلَم أنه إذا قيل: (**مُثْبِتَةُ الصِّفَاتِ**) فإنه يدخل فيهم من كان يثبت ولو بعض الصفات كالأشاعرة؛ **لأنَّ الأشاعرة والكُلاَّبِيَّة** هم من المثبتة في الجملة، **فليسوا** من المعطلة التعطيل العام، كالمعتزلة والجهمية، =كما سنعلم تفصيل ذلك في أبيات آتية.

الصفات الذاتية قديمة

والصفات الفعلية قديمة متجددة

قال الناظم رحمه الله تعالى:

١٤- قالوا: فَهَل تِلْكَ الصِّفَاتُ قَدِيمَةٌ ..كَالذَّاتِ؟ قُلتُ: كَذَاكَ لَمْ تَتَجَدَّدِ

قوله: (**قالوا: فَهَل تِلْكَ الصِّفَاتُ قَدِيمَةٌ ... كَالذَّاتِ؟**) =كذاتِ الله عز وجل= هذا هو السؤال، يعني: هل هذه الصفات التي أثبَتَّها -في البيت السابق- قديمةٌ كذاتِه أم لا؟

فأجاب بقوله: (**قُلتُ: كَذَاكَ**) يعني: أنَّ الأمر كما قلتُم من أنَّ صفاتِ الله قديمةً كذاته، (**لَمْ تَتَجَدَّدِ**)، والمراد **بـ (القديم)** في مثل هذا المقام -مقام الكلام في ذات الله وصفاته- هو الذي لا بداية لوجوده، ولم يُسبق بِعَدَم، فالله قديمٌ بهذا الاعتبار، **ولكن** لا يصح أن يطلق (**القديم**) باعتباره اسماً من أسماء

الله عز وجل، وأما على سبيل الإخبار فيصح إطلاقه على الله عزَّ وَجَلَّ، فيقال: (**الله قديمٌ**)، بمعنى: أنه لا بداية لوجوده =سبحانه.=

-جاء في الحاشية: [قال ابن القيم في (بدائع الفوائد) (١/ ١٦٩- ١٧٠): (**ويجب أن يُعلَم هنا أمورٌ: أحدُها:** أن ما يدخل في باب الإخبار عنه =سبحانه و= تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته؛ كالشيء =هذا من باب الإخبار، أثبت لنفسه أنه شيء= والموجود والقائم بنفسه، فإنه يُخْبَرُ به عنه، ولا يدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العليا)، **=**{ **قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ**}. (الأنعام: ١٩)،**=** إلى أن قال: (**السابع:** أنَّ ما يُطلَق عليه سبحانه في باب الأسماء والصفات توقيفيٌّ، =يعني وقف على الله عز وجل، يعني هو الذي سمى نفسه فيصف نفسه بما شاء، **وكذلك رسوله** صلى الله عليه وسلم= وما يُطلق عليه في باب الإخبار لا يجب أن يكون توقيفيَّاً؛ كالقديم والشيء والموجود والقائم بنفسه.

فهذا فصلُ الخطاب في مسألة أسمائه هل هي توقيفية؟ أو يجوز أن يطلق عليه منها بعض ما لم يرد به السمع؟) أ هـ].-

=أي ما لم يرد فيه النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي القرآن الكريم، **وهذا هو الجواب:** الأسماء والصفات توقيفية، أما إن كانت من باب الإخبار فالأمر فيها واسع، لا يجب أن تكون توقيفية.=

وقول الناظم رحمه الله: (**قُلتُ: كَذَاكَ لَمْ تَتَجَدَّدِ**) يعني: أن صفاتِه كذاتِه قديمةٌ لم تتجدّد، وفي هذا الإطلاق نظر، فإن صفات الله =سبحانه وتعالى= نوعان:

١- صفاتٌ **قديمةٌ** لا بداية لها كذاته، وهي ما يسمَّى في اصطلاح أهل العلم بـ (**الصفات الذاتية**)، وهي: الصفات اللازمة لذاته التي لا تنفك عن ذات الربِّ، ولا تنفك عنها الذات، ولا تتعلق بها المشيئة، مثل: حياتِه سبحانه، فحياة الله قديمة، وعلمه قديم، وسمعه قديم، فإنَّه سبحانه =وتعالى= لم يزل سميعاً، ولم يزل بصيراً، ولم يزل عليماً، ولم يزل عزيزاً، ولم يزل حَيَّاً قَيُّومَاً.. الخ.

٢- صفاتٌ **فعلِيَّةٌ**، وهي: الصفات التي تتعلق بها **المشيئة**، كما نقول: إنه تعالى ينزل إلى السماء الدنيا إذا شاء، واستوى على العرش حين شاء، وهو يعطي إذا شاء، ويمنع إذا شاء، ويؤتي المُلْكَ مَن يشاء وينزعه ممن يشاء، هذه أفعال متعلقةٌ بمشيئته سبحانه.

ومن الصفات أيضاً: صفاتٌ **ذاتِيَّةٌ فعلِيَّةٌ**، فهي قديمَةٌ من وجهٍ، حادِثَةٌ من وجهٍ آخَرَ، ومثاله: **الكَلامُ** =قديم ومتجدد=، والخَلْقُ =مع ذاته في خلقه، يخلق ما يشاء، ثم الآن نجد خلقا جديدا متجددا.=

فإنَّه سبحانه لم يزل متكلِّماً إذا شاء، لم يَحدُث له أن صار متكلِّمَاً بعد أن لم يكن، ولكنَّ آحادَ كلامه سبحانه تحدث تبعاً لمشيئته؛ **ولهذا يُعَبَّر** عن هذا بأنَّ الكلامَ قديمُ النَّوعِ حادِثُ الآحاد، =عبارة مهمة جدا، ما هو كلام الله عز وجل؟ قديم النوع موجود متجدد الآحاد.=

فعبارة الناظم =هنا= مجملةٌ، وهذا الإطلاق غَلَطٌ، وعبارتُه مُشْعِرَةٌ بأنَّه ممن يقول بِقِدَمِ جميعِ الصفات، وأنَّه تعالى لا تقوم به الصفات الفعلِيَّة، أو أنَّ ما يُسَمَّى بـ (**الصفات الفِعْلِيَّة**) قديمَةٌ لا تتعلق بها المشيئة، **فبهذا لا يتضح** لنا مذهبه في هذه المسألة.

فهو إما أنه ينتهج **منهج الكُلاَّبِيَّة** القائلين بإثبات صفات فعلية؛ لكن قديمة لا تتعلق بها المشيئة.

أو أنه ينتهج **منهج الأشاعرة أو السالمية**، وكلُّهم ممن ينفي قيام الأفعال الاختيارية به سبحانه كالنزولِ، والمجيءِ، وحقيقةِ الاستواء وما أشبه ذلك.

{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}. (الشورى: ١١)

قال الناظم رحمه الله تعالى:

١٥- قالوا: فَهَل لله عِنْدكَ مُشْبِهٌ؟ ..- قلتُ: المُشَبِّهُ في الجَحِيمِ المُوصَدِ

قوله: (**قالوا: فَهَل لله عِنْدكَ مُشْبِهٌ؟**) يعني: هل أنت تقول بأن لله شبيهاً من خلقه؟

فأجاب بقوله: (**قلتُ: المُشَبِّهُ في الجَحِيمِ المُوصَدِ**)، وهذا الجواب =معروف، لم يقل: نعم! ولم يقل: لا! وإنما أشار إلى مذهبه بشيء فيه أمر عظيم جدا، فكيف يكون أصحاب الجحيم الموصد،=

مقتضاه أنه يُكَفِّرُ المُشَبِّه، ولذا قال: إنَّ (**المُشَبِّهُ في الجَحِيمِ المُوصَدِ**) أي: في جهنم دارِ العذاب، الموصدة على أصحابها، نعوذ بالله من النار.

و (**المشَبِّه**): هو الذي يقول: إنَّ صفات الله مثل صفات عباده، =يعني يقول: يد الله كأيدينا، وسمع الله كسمعنا، والعياذ بالله.= فيقول: له سمعٌ كسمعي، وبصرٌ كبصري، ويدٌ كيدي، وحُبٌّ كحُبِّي، ونحو ذلك.

وقد قال بعض أهل السنة هو نُعَيْمُ بنُ حَمَّادٍ الخُزَاعيُّ؛ شيخُ البخاريِّ-: (من شَبَّه الله بخلقه كَفَر، ومن جَحَدَ ما وَصَفَ الله به نفسه فقد كَفَر، وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم تشبيهٌ).

عدم الخوض في إثبات الجسم لله سبحانه أو نفيه

قال الناظم رحمه الله تعالى:

١٦- قالوا: فَأَنْتَ تَرَاهُ جِسْمَاً؟ قُلْ لَنَا ..- قُلتُ: المُجَسِّمُ عِنْدَنَا كَالمُلْحِد

قوله: (**قالوا: فَأَنْتَ تَرَاهُ جِسْمَاً؟ قُلْ لَنَا**)، وفي نسخةٍ: (**جِسْمَاً مِثْلَنَا**)، أي: هل أنت ممن يقول ويعتقد بأن الله جِسْمٌ =سبحانه؟ يعني لا أدري لماذا وصل الحال بالناس إلى التفكير في ذات الله؟ مع أن هناك نهي عن التفكير في ذات الله، وأمر بالتفكير في آلاء الله وفي نعم الله، وفي خلق الله سبحانه وتعالى، "**لا تفكروا في الله**"، ([٩]) لأن العقل صغير وضعيف عن التفكير في مثل هذه الأمور العظيمة، فمن فكر في ذات الله ربما يضلّ، وكثير ممن فكروا في ذات الله ضلّوا، نسأل الله السلامة.

فلذلك هم قالوا: هو جسم أم غير جسم، فلذلك أنت تعتقد أن الله جسمٌ أم غير جسم؟= (قُلْ لَنَا) أي: بَيِّن لنا.

([٩]) الحديث: "**تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللهِ، وَلَا تَفَكَّرُوا فِي اللهِ** -عز وجل-" (حل) (ج٦ص٦٦)، (هب) (١٢٠)، (طس) (٦٤٥٦)، صَحِيح الْجَامِع (٢٩٧٦)، والصحيحة (١٧٨٨).

ثم أجاب: بقوله: (**قلتُ: المُجَسِّمُ عِنْدَنَا كَالمُلْحِدِ**)؛ =لأن المجسِّم يعبد صنما والعياذ بالله، والمعطل يعبد عدمًا.= **وظاهرٌ من جوابه** أنَّه ينفي أن يكون اللهُ جِسْمَاً، وأن من قال: إنَّ الله جسمٌ فإنَّه كَالمُلْحِدِ، هذا جوابه. =نريد أن نقرر شيئا في موضوع الجسم، وهو= ووَصْفُ الله عزَّ وجَلَّ بأنَّه جِسمٌ أو ليس بجسمٍ، هو مما لم يتكلم به السلف، والسلف هم الصحابة والتابعون وتلاميذهم ممن عاشوا في الثلاثة قرون الأولى المفضلة، هؤلاء ما تكلموا في أن لله جسما بالإثبات، ولا أن الله ليس له جسم بالنفي=، ولم يرِدْ في كتاب الله، ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ذكرُ هذا اللفظ لا نفياً ولا إثباتاً.

فما موقفنا من هذا؟ =ماذا نقول لو سألنا أحد أن لله جسما أم لا؟

وهكذا أهل السنة لم يتكلموا في رب العالمين سبحانه وتعالى بمثل هذا، فلم يقولوا: إنَّ الله جِسْمٌ، ولا إنَّ الله تعالى ليس بجسمٍ، ولا يرتضون إطلاق هذا اللفظ في النفي ولا في الإثبات؛ لأن من نفى يحتاج إلى دليل، ومن أثبت يحتاج إلى دليل، ولا دليل عند هذا ولا عند هذا فنسكت، ولا نتكلم في هذا؛ لأن هذا أمر عظيم في ذات الله سبحانه وتعالى، ولكن لماذا لا يتكلمون عن ذلك ولا نتكلم؟= **وذلك لأمرين:**

أولاً: أنه لم يرد وصف الله بهذا اللفظ لا نفياً ولا إثباتاً، =وأنت بصفتك من أهل السنة يجب أن تكون وقّافا عند النصوص، فلم يرد بالنفي ولا الإثبات نص= وهم يقفون مع النصوص.

ثانياً: أن لفظ (الجسم) لفظٌ مُجْمَلٌ يحتمل معاني كثيرة، منها ما هو حقٌّ يمكن إضافته إلى الله عز وجل، ومنها ما هو باطلٌ لا تجوز إضافته إلى الله عز وجل.

فالجسم له معنى لغوي، وهو الجسد والبدن، كما يقولون: الجسم والروح، قال تعالى عن طالوت: **{وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي العِلْمِ وَالجِسْمِ}**. (البقرة: ٢٤٧)

وله أيضاً معانٍ اصطلاحيَّةٌ عند المتكلِّمين، منها: الموجود، والقائم بنفسه، والمركَّب من الجواهر المفردة، =هذا كله عند المتكلمين في الجسم.=

وعلى هذا فلفظ: **"الجسم"** لفظٌ **مجملٌ**؛ -من الحاشية انظر التفصيل في (العقيدة التدمرية) و(درء التعارض) و(منهاج السنة).-

ولهذا قال أهل السنة: إن من أضاف هذا اللفظ إلى الله عز وجل نافياً أو مُثْبِتَاً، يقال له: ماذا تريد بلفظ الجسم؟ =ماذا نفيت؟ هل نفيت الوجود؟ خطأ، لا بد من إثبات وجود الله سبحانه، وهذا يكون من باب الإخبار، وليس من باب الأسماء والصفات.

فماذا تريد بلفظ الجسم؟= فإن أراد حقاً قُبِلَ، وإن أراد باطلاً رُدّ، وإن أراد حقاً وباطلاً وُقِف اللفظُ وفُسِّر، وأُثْبِت ما يجبُ إثباتُه ونُفِيَ ما يجبُ نَفيُه. -في الحاشية ينظر: (مجموع الفتاوى)، و (منهاج السنة النبوية)، و (بيان تلبيس الجهمية)، و (الرسالة التدمرية)، و (الصواعق المرسلة).-

=والبعد عن هذه اللفظة أفضل، لأن علمائنا ابتعدوا عنها.=

إذاً نحن لا نطلق هذا اللفظ، ولا يجوز أن نقول: إنَّ الله جسمٌ، ولا أنه ليس بجسمٍ، هذا هو منهج أهل السنة والجماعة في هذا اللفظ وأمثاله من الألفاظ المبتَدَعَة.

=وخاض المتكلمون في ذلك ينفون أن يكون لله جسم، ولا يأتون بدليل؛ الأولى لنا نحن أن نسكت ولا نقول هذا.=

وأما طوائف **المتكلمين** فجمهورهم كالجهمية والمعتزلة بل والأشاعرة أيضاً، كلهم ينفون أن يكون الله جسماً، فكلهم يطلقون هذا اللفظ، والناظم على هذا المسلك.

وعند **المعتزلة** أن جميع الصفات تستلزم الجسمية؛ ولذلك ينفون جميع الصفات؛ خشية أن يقولوا لله جسم =سبحانه وتعالى عما يقولون=؛ لأنه لو قامت به الصفات لكان جسماً.

وأما **الأشاعرة**؛ فعندهم تفصيل في ذلك، فهم يقولون: إن بعض الصفات تستلزم الجسمية، وبعضها لا يستلزم ذلك، فالصفات التي ينفونها تستلزم التجسيم عندهم، وأما الصفات التي يثبتونها فلا تستلزم التجسيم، وهذا من التناقض الذي يقوم عليه مذهبهم، فإن مذهب الأشاعرة قائمٌ على التناقض والتذبذب والتلفيق.

ويقابل هؤلاء كلَّهم **الكَرَّامِيَّةُ**، فإنهم يُثبِتُون لفظ الجسم لله عز وجل، ويقولون: (إنَّ اللهَ جِسْمٌ)، وكلُّهم -النافي والمُثْبِت- مُبتَدِعٌ، فقول الناظمِ -رحمه الله وعفا عنَّا وعنه-:

(**قلتُ: المُجَسِّمُ عِنْدَنَا كَالمُلْحِدِ**)؛ لا ندري ماذا تحته، هل يعني بـ (المُجَسِّم) مَن يُطلق هذا اللفظ على الله ويقول: (**إن الله جِسْمٌ**) كالكَرَّامِيَّة، أو يعني به مَن يصف الله عز وجل بصفاتٍ هو يرى أن إثباتها تجسيمٌ؟

فمثلاً الجهمية والمعتزلة يَعُدُّونَ الأشاعرة مُجَسِّمَة؛ لإثباتهم بعض الصفات، والأشاعرة يَعُدُّونَ أهلَ السُنَّةِ مُجَسِّمَة؛ لأنهم يثبتون ما ينفونه من الصفات.

فعند الأشاعرة؛ أنَّ من يُثْبِتُ الوجه، أو اليدين، أو القدمين، أو يُثْبِتُ مثلاً النزول، أو المجيء، أو ما أشبه ذلك من الصفات التي ينفونها، يعتبرونه مُجَسِّمٌ.

=(**المُجَسِّمُ عِنْدَنَا كَالمُلْحِدِ**) لذلك الناظم ما ذكر على وجه التفصيل؛ بل نفى مطلقا، فأصبح= جوابُ النَّاظم فيه إجمال كثيرٌ.

لكنْ؛ واضحٌ من جوابه أنه يجزم بنفي الجسم، فسبيلُه سبيلُ جمهور المتكلمين في نفي الجسم عن الله عز وجل، ثم إننا لا ندري ما الذي يستلزم التجسيم عنده؟

وقوله: (**المُجَسِّمُ عِنْدَنَا كَالمُلْحِدِ**) المُلْحِد هو: الكافر بالله، =وللاعتذار=؛ ولعل الناظمَ أراد بهذا أنَّ المُجَسِّم يشبه المُلْحِد في الافتراء على الله =سبحانه وتعالى= وتَنَقُّصِه، وفي وَصْفِ الله تعالى بما لا يليق به، والله أعلم.

صفة العلو وعدم المخالطة أو المماسة

قال الناظم رحمه الله تعالى:

١٧- قالوا: فَهَل هُوَ في الأماكن كُلِّهَا؟ * قُلتُ: الأماكن لا تُحِيطُ بِسَيِّدَي**

=هذه تدل على قول بعض الناس؛ أن الله موجود في كل الوجود، أي في كل المخلوقات.=

قوله: (**قالوا: فَهَل هُوَ في الأماكن كُلِّهَا**) أي: هل الله في كلِّ مكانٍ، حالٌّ في كل شيءٍ من مخلوقاته؟ كما يقوله فريقٌ من الجهمية الحُلُولِيَّة، =وهم الذين يقولون: إن الله قد حلَّ في كل مخلوقاته!!

تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرا. **إذا كان النصارى** كفروا لأنهم جعلوا الله حالاً في عيسى عليه السلام، فكيف بمن قال: إن الله حال في الإنسان والحيوان، والطير والدواب وفي كل مكان؟!

فالحلوليون هم= الذين يقولون: **(إن الله بذاته حَالٌّ في كلِّ مكانٍ)**، تعالى الله عن قولهم عُلوًّا كبيراً.

فأجاب بقوله: **(قُلتُ: الأماكن لا تُحِيطُ بِسَيِّدَي)** وهذا الجواب يتضمن نفي الحلول، =وهذا من عقيدته أنه ينفي الحلول= فالله سبحانه وتعالى عظيمٌ، أعظمُ من أن يحيط به شيءٌ من مخلوقاته؛ لأنَّ القول بالحلول يتضمن أنَّ المخلوقاتِ تحوي الربَّ سبحانه تعالى وأنها محيطةٌ به.

وقوله: **(لا تُحِيطُ بِسَيِّدَي)** أي: بربي، =أي بالله= فهو سبحانه السيِّد ذو =الأسماء و= الصفات العظيمة، وله العظمة والسيادة المطلقة.

—قال أبو المنذر غفر الله له ولوالديه والمؤمنين والمؤمنات:

ثبت عَنْ مُطَرِّفٍ، قَالَ: قَالَ أَبِي: (انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقُلْنَا: **(أَنْتَ سَيِّدُنَا)**، =يعنون النبي صلى الله عليه وسلم= فَقَالَ: **("السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى")**– قُلْنَا: ("وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا")، فَقَالَ: **("قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ")**. (١٠)، =إذن السيد بهذا اللفظ، وبهذا التعريف هو الله سبحانه وتعالى، أما سيد بني فلان فهي مخصوصة في بني فلان، أما السيد مطلقا فهي لله سبحانه وتعالى.=

فجواب الناظمِ رحمه الله يتضمن نفي الحلول، وأنه تعالى لا تحيط به الأماكن، وذِكْرُ (الأماكن) كنايةٌ عن المخلوقات؛ لأنَّ القائلين بالحلول يقولون: إنَّ الله في كلِّ مكانٍ، يعني: أنَّه في الأرض، وفي السماء، وفي باطن الأرض، تعالى الله وتقدَّسَ.

---

(١٠) (د) (٤٨٠٦).

فإنَّ مطلق هذا القول يقتضي أموراً بشِعَةً قبيحةً، ولهذا رَدَّ عليهم الأئمةُ -كالإمام أحمد- بأن قولهم يتضمن أن الله في البطون، =في بطون الناس، وفي بطون الحيوانات=، وفي الحشوش، =وهي الأماكن التي يقضي فيها الناس حاجاتهم، وفي الأماكن= المستَقْذَرة المستَقْبَحَة الرديئة والمؤذية، فكيف يردون؟ =ما يردون وما في جواب عندهم.=

وكفى بهذا دليلاً عقلياً على بطلان هذا المذهب الخبيث المنافي للعقل والشرع.

وهنا ينبغي أن يُعلم أن نفي الحلول لا يستلزم نفي العلوّ عند نفاته؛ لأنَّ منهم من يقول: (**إنه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه**)، =إذا أين؟ وكيف هذا؟=

وقد اختلفت النُّسَخ في رواية هذا البيت، فمنها ما تقدم الشرح عليه من قول الناظم: (**قُلتُ: الأماكن لا تُحِيطُ بِسَيِّدَي**)، ووقع في بعض النسخ: (**فَأَجَبْتُ: بَلْ فِي العُلْوِ مَذْهَبُ أَحمدِ**)، وهذه الرِّوَاية أدَلُّ على المعنى الحقِّ من الرِّوَاية الأولى؛ لأن فيها التصريح بعلو الله =سبحانه وتعالى= على خلقه دون الرواية الأولى، فهي محتَمِلةٌ، كما سبق التنبيه عليه.

صفة الاستواء على العرش معلومة

وكيفيتها مجهولة

قال الناظم رحمه الله تعالى:

١٨- قالوا: أَتَزْعُم أَنْ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى؟ * قُلتُ: الصَّوَابُ كَذَاكَ أَخْبَرَ سَيِّدِي**

=لاحظ كلمة سيدي، ففي البيت السابق قصد بها الله سبحانه وتعالى، وفي هذا البيت قصد بها الرسول صلى الله عليه وسلم.=

قوله: (**قالوا: أَتَزْعُم أَنْ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى؟**) يعني: إذا كنتَ تقول: إن الله تعالى لا تحيط به الأمكنة، فكيف تزعم أنه على العرش استوى؟ يعني: هل تزعم أن الله فوق المخلوقات؟

(**قُلتُ: الصَّوَابُ كَذَاكَ**)؛ أي أنَّ الصواب ما ذُكِرَ، وهو أنه سبحانه مستوٍ على عرشه استواءً يليق بجلاله وكماله. وقوله: (**كَذَاكَ أَخْبَرَ سَيِّدِي**) =ولكن الشارح قال في شرحه= أي كذاك أخبر ربي عز وجل أنه مستوٍ على العرش.

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى أنه استوى على العرش في سبعة مواضع من القرآن، في سورة الأعراف ويونس والرعد، وطه والفرقان والسجدة والحديد.

في ستَّةِ مواضعَ منها يقول سبحانه وتعالى مخبِراً عن خلق السماوات والأرض: **{ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ}**. (الأعراف:٥٤) و(يونس:٣) و(الرعد:٢) و(الفرقان:٥٩) و(السجدة:٤) و(الحديد:٤)، وفي سورة طه قال سبحانه وتعالى: **{الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى}**. (طه: ٥)، =وهذا كله تأكيد على علوِّ الله سبحانه وتعالى.=

=قال أبو المنذر غفر الله له:

ثبت عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَمَّا قَضَى اللَّهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي**». (١)، وهذا يدل على علو الله سبحانه وتعالى.

كيفية الاستواء على العرش مجهولة

قال الناظم رحمه الله تعالى:

١٩- قالوا: فَمَا مَعْنَى اسْتِوَاه؟ أَبِنْ لَنَا * فَأَجَبْتُهُمْ: هَذَا سُؤال المُعْتَدِيْ**

قوله: (**قالوا: فَمَا مَعْنَى اسْتِوَاه؟**) =هنا ذكرها بالتسهيل، وأصلها استوائه=، أي: ما معنى أن الله استوى على العرش؟ (أَبِنْ لنا) أي: وَضِّح لنا وبَيِّن.

وقوله: (**فَأَجَبْتُهُمْ: هَذَا سُؤال المُعْتَدِي**) هذا الجواب يتضمن رفض الجواب ورفضَ السؤال، فمضمونه أن معنى الاستواء غير معلوم، =فهذا الذي نفهمه عند السؤال، فبين أن المعنى غير معلوم، لا

---

(١) (خ) (٣١٩٤).

ندري، لأن السؤال عن الاستواء لا يجوز.= فقوله: **(هَذَا سُؤال المُعْتَدِيْ)** أي: هذا سؤال المتعدي في سؤاله؛ لأن السؤال عن كيفية الاستواء لا يجوز، ولذا قال الإمام مالك رحمه الله في رَدِّهِ على من قال: **{الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى}** كيف استوى؟ قال: (.. والسؤال عنه بدعة)، =عن ماذا؟ ليس السؤال عن المعنى، وإنما عن الكيفية.=

وأما السؤال عن معنى الاستواء فلا حرج فيه، =وكأن الشيخ الشارح يرد على الناظم= وليس هو من الاعتداء في السؤال، ولذا قال الإمام مالك رحمه الله في جوابه السابق: **(الاستواءُ معلومٌ)** يعني: أن الاستواء معلومٌ معناه؛ =ومعناه العلوّ=؛ لأنه لفظٌ معروفُ المعنى في اللغة العربية، والقرآنُ نَزَلَ بلسانٍ عربيّ، والله خاطبَ عبادَه باللسانِ الذي يعرفونه، كما قال =الحق= عز وجل: **{نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنْذِرِينَ* بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ}**. (الشعراء: ١٩٣- ١٩٥)

وهذا البيت يمكن أن يؤخذ منه أن الناظمَ رحمه الله يذهب في إثبات الاستواء إلى القول بالتفويض، =يعني لا نعلم معناه، وليس معناه العلو= فهو يثبت الاستواء، ولكنه لا يُثْبِتُ له معنى معلوماً؛ بل اعتبر السؤال عن المعنى من الاعتداء في السؤال، وهذا مذهب أهل التفويض، فإنهم يقولون: إن نصوص الصفات ليس لها معنى مفهوم، بل يجب إجراؤها على ظاهرها ألفاظاً من غير فهمٍ لها.

والناظمُ رحمه الله في البيت السابق ينفي الحلول، وفي هذا البيت يثبت الاستواء، ولكنَّ المؤسفَ أنه يمتنع عن تفسير الاستواء، ويقدح في السؤال عن معنى الاستواء، فهو إذاً يُثْبِتُ لفظ النَّص ويقول: نعم، إن الله سبحانه وتعالى مستوٍ على العرش، ولكن من غير تفسيرٍ لذلك؛ لأنه قال لمن سأله عن معنى استواء الله: **(فأجبتهم: هذا سؤال المعتدي)**.

فيظهر من هذا أنه يثبت الاستواء ولكن لا يُفَسِّرُه بشيءٍ، هذا هو مُحَصَّلُ الجواب، فكأنه يقول: نعم، الواجب أن نقول: إن الله مستوٍ على العرش كما أخبر سبحانه وتعالى، ولكن لا ندري ما معنى استوى، ولا يجوز أن نسأل عن معنى استوى.

وهذا غلطٌ فإنَّه بهذا لا يكون مُثْبِتَاً للاستواء على حقيقته، فهو أثبت النصَّ القرآني من غير فهمٍ لمعناه، ومن لم يفهم المعنى فإنه لا يمكن له أن يثبت حقيقة ذلك اللفظ، فهو لم يثبت لله معنى مفهوماً يصفُ الله به، بل يقول: الله تعالى استوى على العرش كما أخبر ولا ندري ما معناه؟ =وهذه زلة قدم من هذا العالم، إذا كان كذلك، أما إذا قصد بسؤال المعتدي السؤال عن الكيف؛ فلا! خصوصا في هذه المنظومة المختصرة، والله تعالى أعلم.

فالممنوع السؤال عن الكيفية، لا المعنى.=

وهذا خلاف المأثور عن السلف؛ =لأن الله قال: **{الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى}**. (طه: ٥)، ويقول: الله مستو على عرشه كما أخبر لكن لا ندري كيف استوى، ولا ندري معنى الاستواء، ولا ندري كيف هذه لك، ولكن ما تدري المعنى؟! هل الله يأتي بألفاظ ليس لها معنى، نسأل الله السلامة.=

فقد جاء تفسير الاستواء بألفاظٍ معروفةٍ: **(علا، وارْتَفَعَ، واستَقَرَّ، وصَعِدَ)**، -في الحاشية: ينظر: (تفسير الطبري)، و (التمهيد)، و (شرح أصول الاعتقاد)، و(العلو للعلي الغفار) للذهبي)، و(العرش)، و(مختصر الصواعق).-

وقال الإمام مالك -كما تقدم-: **(الاستواءُ معلومٌ)** فلو أنَّ هذا السائل قال للإمام مالك: ما معنى الاستواء؟ لأمكن أن يقول: **(علا وارتفع)**، ولكن السائل كان مُعْتَدِياً في سؤاله فقال: كيف استوى؟ فأجاب بهذا الجواب المُحْكَم السَّدِيد، قال: **(الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، ولا أراك إلا رجلَ سُوءٍ)**، فأمر به فأُخْرِجَ. (١٢)

فاستعظم رحمه الله هذا السؤال المُنْكَر؛ لأنَّه تَكَلُّفٌ، وسؤال عما لا سبيل إلى العلم به، =فأمر السؤال عن الكيفية هذا صعب، لا يستطيع العالم أن يعرفها=.

تنزل الرب سبحانه وتعالى لعباده

---

(١٢) الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٣٠٦)، رقم: (٨٦٧) بسنده يَحْيَى بْنَ يَحْيَى، يَقُولُ: **(كُنَّا عِنْدَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}.** (طه: ٥)، **فَكَيْفَ اسْتَوَى؟)** قَالَ: فَأَطْرَقَ مَالِكٌ بِرَأْسِهِ حَتَّى عَلَاهُ الرُّحَضَاءُ، ثُمَّ قَالَ: **(الِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ، وَمَا أَرَاكَ إِلَّا مُبْتَدِعًا)**. فَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُخْرَجَ.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

٢٠- قالوا: النُّزُولُ؟ فقُلتُ: نَاقِلُهُ لَنَا * قَومٌ هُمُ نَقَلُوا شَرِيعَةَ أَحْمَدِ**

(**قالوا: النُّزُولُ؟ فقُلتُ: نَاقِلُهُ لَنَا**) المراد **بـ(النزول)** هنا النزول الإلهي الذي جاءت =وصرحت= به النصوص =النبوية التي صرحت أنه ينزل سبحانه وتعالى كل ليلة، وهذا نزول يليق به=، وتواترت به الروايات، ونقله الثقات، وهو نزول الرب إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر.

فقوله: (**قالوا: النُّزُولُ؟**) أي: ما تقول في نزولِ الربِّ عزَّ وجلَّ؟ هل تُثْبِتُهُ؟ أو تتأوَّله كما يقول المعطلة؟ =الذين قالوا: إن الله لا ينزل، ولكن قالوا=: تنزل رحمتُه، أو ينزل مَلَكٌ من الملائكة، أو نحو ذلك؟

فأجاب بقوله: (**قُلتُ: نَاقِلُهُ لَنَا قَومٌ هُمُ نَقَلُوا شَرِيعَةَ أَحْمَدِ**)، ومضمون هذا الجواب؛ أن خبر النزول الإلهي إلى السماء الدنيا =الذي نقل إلينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم= نقله لنا الرواة الثقات =من الصحابة رضي الله تعالى عنهم وتلاميذهم إلى يومنا هذا، هذا نزول إلهي إلى السماء الدنيا، فهم= الذين نقلوا لنا الشريعة، فهم الذين نقلوا لنا الصلاة والزكاة، والصيام والحج وأحكامها، =وأخذناها منهم، فكيف لا نأخذ النزول؟ هذا شيء عجيب!= فكيف نرد حديثاً ونقبل منهم أحاديث؟ لا شك أن هذا تناقض، فلا بد حينئذ من قبول ما رووه من الأخبار في النزول الإلهي.

وهذا الجواب أيضاً مضمونه؛ أن النزول الالهي حقٌّ وصدقٌ؛ لثقة النقلة وكثرتهم، فقد نقل حديث النزول =وهو حديث متواتر= جَمْعٌ من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد ذكر بعض العلماء أنه نقله ثلاثون من الصحابة الكرام أو أزيد، =يعني يمكن ألا يتوفر في حديث آخر مثله إلا القليل= فخبر النزول الالهي متواترٌ لا مَدْفَعَ له. -في الحاشية: نصَّ على تواتر أحاديث النزول جماعةٌ من أهل العلم، منهم: أبو زرعة الرازي، كما في (السنة) لأبي الشيخ ابن حيان، وذكره العيني في (عمدة القاري) (٧/ ١٩٩)، وابن عبد البر في (التمهيد) (٧/ ١٢٨)، وابن تيمية في مواضع متعددة من كتبه، ومنها: ما في (مجوع الفتاوى) (٥/ ٤٧٠)، والذهبي في (العلو) (ص: ٩١ و١٠٠)، وابن القيم كما في (مختصر الصواعق) (٣/ ١١٠٨) و (٣/ ١١٢٥)، وابن عبد الهادي في (الصارم المنكي)، (ص: ٣٠٤)، والكتاني في (نظم المتناثر من الحديث المتواتر)، (ص: ٢٤١).-

فأهلُ السنة والجماعة يثبتون النزول حقيقةً، =ولكنهم لا يعلمون الكيفية= ويقولون: إن الله عز وجل ينزل كيف شاء إذا شاء.

فليس المراد –عندهم– من قوله صلى الله عليه وسلم: (**يَنْزِلُ رَبُّنَا**) (١٣) تَنَزُّلُ رحمتُه، أو ملائكتُه، أو أمرُه، أو نحو ذلك مما يقوله المبتدعة؛ بل هذا تحريفٌ للكَلِمِ =نص السنة والحديث= عن مواضعه، =ويرد عليهم أهل السنة=؛ إذ كيف يصح أن يقال هذا مع قوله سبحانه وتعالى إذا نَزَلَ: ".. **مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**"، =من يسترزقني فأرزقه، كما جاء في بعض الروايات فالملَكُ لا يجوز له أن يقول: (**مَنْ يَدْعُونِي. مَنْ يَسْأَلُنِي. مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي**..)!! إذا كان ملكا، وهذه واضحة.=

وكذلك الرحمة ليست شيئاً قائماً بنفسه حتى تتكلَّم =الرحمة=، فهذا نصٌّ قاطعٌ بأنَّ الذي ينزل هو الله عز وجل، وأنه هو الذي يقول إذا نزل: (**مَنْ يَدْعُونِي؟ مَنْ يَسْأَلُنِي؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي؟**)!!

فالناظم أجاب عن السؤال بجوابٍ يتضمَّن أنه ممن يثبتُ النزول =في الجملة= ويقرُّ به.

والنزولُ صفةٌ فعليَّةٌ بلا شك؛ لأنها تتعلق بمشيئة الله سبحانه، فنقول: إنه سبحانه وتعالى ينزل إذا شاء، **وليس (النزول)** عبارةٌ عن شيءٍ، أو عن معنى قائمٍ بالرب، لم يزل ولا يزال، بل هو فعلٌ يقوم به =الرب= سبحانه وتعالى إذا شاء كيف شاء.

فالذين ينفون جميع الصفات ينفون صفة (النزول) كغيرها،... **والمشهور** من مذهبهم الأشاعرة هو نفي الصفات الاختيارية، كالنزول، والاستواء، والغضب، والرِّضَا، وهذا يجعلهم يتأوَّلُون صفة النزول بنزول المَلَك، أو نزول الرَّحمة، أو ما أشبه ذلك. وأما أهل السنة فيثبتون له الصفات الفعلية الاختيارية، ومعنى أنها (اختيارية) يعني أنها متعلقة بمشيئته سبحانه، فهذا هو ضابط الصفات الفعلية الاختيارية.

صفة النزول

---

(١٣) (خ) (١١٤٥)، (م) (٧٥٨).

قال الناظم رحمه الله تعالى:

٢١- قالوا: فَكَيفَ نُزُولُه؟ فَأَجَبْتُهُمْ: * لَمْ يُنْقَلِ التَّكْيِيْفُ لِي في مُسْنَد**

(**قالوا: فَكَيفَ نُزُولُه؟ فَأَجَبْتُهُمْ**): =يعني ما جاءني خبر بالكيفية، فمسألة النزول قالوا له: كيف نزوله إذا كنت تثبت النزول بين لنا؟ فبين لهم؛ لأنه لم ينقل التكييف له في حديث مسند.=

هذا السؤال متعلق بالمسألة السابقة، وهي مسألة (**النزول**).

فقال رحمه الله: (**قالوا: فَكَيفَ نُزُولُه؟**) يعني: إذا كنتَ تُثْبِتُ النزول لله عز وجل فبيِّن لنا كيف يَنْزِل؟ هذا هو السؤال.

قال: (**فَأَجَبْتُهُمْ: لَمْ يُنْقَل التَّكْيِيْفُ لِي في مُسْنَدِ**) أي: إن كيفية نزول الرب عز وجل لم تُنْقَل لنا في خبرٍ مُسْنَدٍ عن النبيّ صلى الله عليه وسلم، =والخبر المسند؛ يعني الخبر الصحيح المتصل بإسناده إلى النبي صلى الله عليه وسلم، بنقل الثقات عنه، بدون علة ولا انقطاع ولا شذوذ، ولا ما شابه ذلك.

فهذان البيتان السابقان يثبتان صفة النزول، وينفيان الكيفية في نزول، فالكيفية لا نعلمها، وهو نزول حقيقي لا يعلم كيفيته إلا الله رب العالمين سبحانه.=

وما دام الأمر كذلك فيجب علينا أن نمسك عن الخوض في الكيفية، فنؤمن بنزوله سبحانه ونثبت له ذلك، ولكننا لا نعلم كيفية نزوله؛ إذ لم ينقل لنا تكييف نزوله في خبرٍ من الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقوله: (**في مُسْنَدِ**) أي: في حديثٍ مُسْنَدٍ عن النبي صلى الله عليه وسلم.

و (**الحديثُ المسْنَدُ**) في اصطلاح أهل الحديث هو: الخبر المنقول بسندٍ متصلٍ إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم، فلا بد فيه من اتصال السند، وأن يكون مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

وهذان البيتان في إثبات صفة النزول، ونفي التكييف، هما من أوضح ما جاء في هذه القصيدة، ففي البيت الأول أثبت رحمه الله النزول الإلهي الذي نقله الثقات، وتواتر ذكره عن الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم.

وفي البيت الثاني نفى العلم بالكيفية، وهذا هو الواجب في هذه الصفة وفي كل الصفات، الإثبات مع نفي التمثيل ونفي العلم بالكيفية، وهو المراد بقول أهل السنة: **(بلا تكييف)**.

وفرقٌ بين نفي الكيفية، ونفي العلم بالكيفية، =نحن لا نعلم الكيفية، لكن ينزل بكيفية، وكيف؟ لا ندري، ولا نعلم.=

... **فالاستواء** له معنى معروف في اللغة العربية، =وهو العلو والارتفاع=، والله خاطب عباده بلسانٍ عربيٍّ، فنحن نثبته بمعناه المعروف عند العرب، ولكن كيفية استوائه سبحانه مجهولة لنا، فهكذا نقول في نزوله سبحانه.

فإذا قال القائل: **كيف النزول؟** قلنا له: **(النزول معلوم)**، أي: أن له معنىً معقولاً، فالنزول فيه معنى الدُنُوّ والاقتراب، والله تعالى وهو فوق سماواته على عرشه يَقْرُبُ من خلقه إذا شاء كيف شاء، ولا يصح أن نطلق للعقول العنان في التفكير في كيفية نزول الله عز وجل، بل لا يجوز أن نفكر في كيفية النزول، وأيضا لا يجوز أن نفكر في ذات الله سبحانه.

=قال أبو المنذر غفر الله له:

فنحن منهيون عن ذلك؛ عن التفكير في ذات الله سبحانه وتعالى، لما ثبت عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: **"تَفَكَّرُوا فِي آلَاءِ اللهِ** -يَعْنِي عَظَمَتِهِ- **وَلَا تَفَكَّرُوا فِي اللهِ"**. (١٤)

(١٤) (طس) (٦٤٥٦)، انظر الصَّحِيحَة: (١٧٨٨).

وفي رواية: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: **"تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللهِ، وَلَا تَفَكَّرُوا فِي اللهِ عز وجل"**.= ([١٥])

وهنا أصلٌ ذكره أهل العلم، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وهو: أنَّ القول في الصفات كالقول في الذات، ومن هذا الأصل نقول: فكما أنَّه لا يَعْلَم كيف هو =سبحانه وتعالى= إلاّ هو سبحانه، =لا يوجد أحد من الخلق؛ لا أنبياء ولا ملائكة يعلمون الله إلا الله عز وجل=، فكذلك لا يعلم كيفية نزوله إلاَّ هو سبحانه.

فمن قال لنا كيف ينزل؟ نقول له: كيف هو؟ =اسأله؛ لأن حتى يختلف حتى في المخلوقات، يعني نزول إنسان إلى إنسان آخر يختلف، بعض الناس ينزل من السقف عن طرق الدرج أو السلم، أو ينزل قفزا، بخلاف نزول الطائرات مثلا وهبوطها، هذه تنزل، وهذه تنزل.

فالنزول يتفق عليه الجميع في المعنى، لكن الكيفية تختلف حتى في المخلوقات، فنثبت النزول لله، لكن الكيفية لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى.=

فإذا قال: لا يَعْلَم كيف هو إلا هو، قلنا له: فكذلك لا يعلم كيفية نزوله إلا هو، فالعلم بكيفية الصفة فرعٌ عن العلم بكيفية الموصوف.

رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة

قال الناظم رحمه الله تعالى:

٢٢- قالوا: فَيُنْظَرُ بِالعُيُونِ؟ أَبِنْ لَنَا * فَأَجَبْتُ: رُؤيَتُه لِمَنْ هُوَ مُهْتَدِي**

قوله: (**قالوا: فَيُنْظَرُ بِالعُيُونِ؟**) يعني: أفيُنْظَرُ الله سبحانه =وتعالى ونراه= بالعيون؟ وهذا على تقدير حذف همزة الاستفهام، وهو كثير في لغة العرب، =أأنت قلت؟ وأحيانا تحذف الهمزة أنت قلت؟=

والمعنى: هل يُرى الله سبحانه وتعالى بالأبصار نظراً حقيقياً؟ =بين لنا ووضح.=

([١٥]) (حل) (ج٦/ ص: ٦٦)، (هب) (١٢٠)، (طس) (٦٤٥٦)، صَحِيح الْجَامِع: (٢٩٧٦)، والصحيحة: (١٧٨٨).

وقوله: (**أَبِنْ لَنَا**) يعني: بيِّن لنا الصوابَ في هذه المسألة، =بين لنا المنهج= ووضح لنا الحق فيها، وذلك؛ لأن الناس اختلفوا في رؤية =الله سبحانه وتعالى في الدنيا، ورؤية= العباد لربهم يوم القيامة، =فماذا كان جوابه؟=

وقوله: (**فَأَجَبْتُ: رُؤيَتُهُ**).- أي: رؤيةُ العِبَادِ لربهم، =للمؤمنين للموحدين واقعة يوم القيامة لهم.=

وقوله: (**لِمَنْ هُوَ مُهْتَدِي**) منهم، أي: إنَّ رؤيتَه سبحانه وتعالى حاصِلَةٌ وَوَاقِعَةٌ يومَ القيامةِ لكل مَن هو مهتَدٍ، فـ(مَنْ) اسمٌ موصولٌ من صِيَغِ العموم، فتشمل كل مهتدٍ بهُدَى الله، من الأولين والآخرين... يرون ربهم سبحانه وتعالى يوم القيامة رؤيَةً بصريَّةً حقيقيَّةً.

وهذا الجواب من الناظم جوابٌ سديدٌ، لكنَّه مُجْمَلٌ، =وهم يرون ربهم رؤية حقيقة بصرية، ورؤية لمن هو مهتدٍ، تجده ما أجاب الجواب الخاص بأهل السنة= كما سيأتي.

=وقد وردت أدلة على رؤية الله عز وجل في كتاب الله عز وجل= والأدلة على إثبات الرؤية معلومةٌ من الكتاب والسنة.

أما الكتاب: ففي قوله تعالى: **{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ* إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}**. (القيامة: ٢٢- ٢٣)، فقوله سبحانه: **{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ}**؛ أي: بَهِيَّةٌ مشرِقَةٌ نَضِرَةٌ، **{إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}**، يعني: تنظر إلى ربها، وهذا هو الصواب في تفسير هذه الآية، وهذه الآية أصرحُ آيةٍ استدل بها أهلُ السنة على إثبات الرؤية.

ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: **{كَلَّا إِنَّهُمْ}** =أي الكفار= **{عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ}**. (المطففين: ١٥)، في هذه الآية توعَّدَ اللهُ الكفَّارَ بأنَّهم محجُوبُون عن ربِّهم لا يرونَه، =فبمفهوم المخالفة= فدلّ ذلك على أنَّ المسلمين على خلاف ذلك، وأنَّهم يرونه سبحانه وتعالى وهو راضٍ عنهم، ولهذا قال سبحانه بعد هذه الآية: **{إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ* عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ}**. (المطففين:٢٢- ٢٣)، **قيل**: ينظرون إلى ربهم، ونظرهم إلى ربهم داخلٌ في هذه الآية على كل تقديرٍ، **سواءٌ قيل**: إنَّ الآية خاصةٌ بهذا النَّظر، أو شاملةٌ لكلِّ ما يَنْظُرُونَ اليه، =فتدخل فيه.=

ومن الآيات الدالة على إثبات الرؤية قوله تعالى: **{لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيَادَةٌ}**. (يونس: ٢٦)، =فسرها العلماء والتابعون بالنظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى.=

وقوله تعالى: **{لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ}**. (ق: ٣٥)، قد فسَّر النبيُّ صلى الله عليه وسلم وأصحابُه رضي الله عنهم والتابعون **(الزيادة)** –بما أخرجه مسلم في (صحيحه) (١٨١) من حديث صُهَيْبٍ رضي الله =تعالى= عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"إذا دخل أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ"** =نسأل الله أن نكون من أهل السنة وممن ضمنهم هذا الحديث= قال: "يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالى: **تُرِيدُونَ شيئاً أَزِيدُكُمْ؟** فَيَقُولُونَ: **ألمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ ألمْ تُدْخِلْنَا الجَنَّةَ وتنجينا من النَّارِ؟** قال: **فَيَكْشِفُ الحِجَابَ، فما أُعْطُوا شيئاً أَحَبَّ اليْهِمْ من النَّظَرِ إلى رَبِّهِمْ عز وجل"**، ثُمَّ تَلا هذه الايَةَ: **{لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيَادَةٌ}**.-

و(المزيد) في هاتين الآيتين فسر بالنظر إلى وجهه الكريم سبحانه وتعالى، –قال اللالكائي في (اعتقاد أهل السنة) (٣/ ٤٦٩): (قوله عز وجل: **{وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ}**، روي عن عليٍّ وأنسِ بنِ مالكٍ: أنَّه النظر إلى وجه الله عز وجل، ومن التابعين: زيدُ بنُ وَهْبٍ وقال: يتجلى لهم كل جمعة)– =الجنة ورؤية الله سبحانه وتعالى، فاللهم لا تحرمنا رؤيتك يا رب العالمين.=

وأما السنة:

فالأدلة الدالة على ذلك كثيرةٌ شهيرةٌ، ولهذا قيل: إن السنة متواترة في الدلالة على رؤية المؤمنين لربهم.

ومن ذلك ما ثبت في الصحيحين من حديث جَرِير بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا جُلُوسًا عِنْدَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم إِذْ نَظَرَ إلى القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ قال: **"إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كما تَرَوْنَ هذا القَمَرَ لا تُضَامُونَ في رُؤْيَتِهِ ..."**. (١٦)

(١٦) (خ) (٥٥٤)، (م) (٦٣٣).

وفي الصحيحين أيضاً من حديث أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قَالَ أُنَاسٌ: (**يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟!**) =يعني هم سمعوا صفات الله عز وجل، وقرءوا الآيات، ونظروا في المخلوقات، فأحبوا أن يروا خالقها ومدبرها سبحانه= فَقَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟**» قَالُوا: (لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ!) قَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟**» قَالُوا: (لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ!) قَالَ: "**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَذَلِكَ**، ...». (١٧)

فقوله صلى الله عليه وسلم: ("**إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر وكما ترون الشمس صحواً ليس دونها سحاب**") (١٨)، في هذا تشبيهٌ للرؤية بالرؤية، لا تشبيهُ =الرب بالقمر والشمس وباقي المخلوقات، لا تشبيه= المرئي بالمرئي.

فالمُشَبَّه: هو رؤية المؤمنين لربهم، والمُشَبَّه به: هو رؤيتهم للشمس والقمر، وذلك أنهم يرونه سبحانه وتعالى بأبصارهم من غير إحاطة، =لا يحيطون به ولا إدراك= ويرونه رؤيةً جَلِيَّةً لا خَفاءَ فيها، ويرونه أيضاً في جهة العلوّ، =خلافا لمن قال غير ذلك من المتكلمين.=

... **فأهل السنة والجماعة** يؤمنون بأن الله =سبحانه و= تعالى يُرى بالأبصار حقيقة، وأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة عَيَانَاً بأبصارهم.

=قال أبو المنذر: ثبت في صحيح البخاري عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيَانًا**».= (١٩)

وخالف في ذلك الجهمية والمعتزلة، فقالوا: إنَّه تعالى لا يُرى بالأبصار، وحرّفوا كلام الله وكلام رسوله وفسّروا الآيات والأحاديث =السابقة إلى معان أخرى= بخلاف ما تدل عليه، =فهم استعظموا أن يرى الله! **ومعناه عندهم**؛ أنا حيزنا الله جعلناه في حيز، فصار عندهم كأنهم يعبدون صنما، مجسمة يقولون

---

(١٧) (خ) ٦٥٧٣، (م) ٢٩٩ - (١٨٢)

(١٨) لم أجده بهذا النص، والمعنى صحيح.

(١٩) (خ) (٧٤٣٥).

عن من يثبت الرؤية، وهم يقولون: نحن لا نجسم الله، فهم فروا من التشبيه ووقعوا في التعطيل، نسأل الله السلامة.=

واستدلوا على مذهبهم الباطل =أن الله لا يرى بالأبصار= بقوله تعالى: **{لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ}**. (الأنعام: ١٠٣)، =لكن هذا نفي للإدراك وليس نفيًا للرؤية=.

وقولِه سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام لما قال له: **{رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ الَيْكَ قَال لَنْ تَرَانِي}**. (الاعراف: ١٤٣)، وقد بيَّن أهل العلم بطلان هذا الاستدلال، وبيَّنُوا أنَّ هاتين الآيتين حجَّة عليهم لا لهم؛ لأنَّ قوله تعالى: **{لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ}**، هو نفيٌ للإدراك الذي هو الإحاطة، فهو سبحانه لا تحيط به الأبصار، فليس في هذا نفيٌ للرؤية مطلقاً، بل هو نفيٌ للرؤية التي تكون معها الإحاطة، ولو كان سبحانه وتعالى لا يُرى لما صحَّ نفيُ الإدراك، فلا يصح أن يقال حينئذٍ: **(لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ)**، بل يُقال: **(لا تَرَاهُ الأَبْصَارُ)**، =لكن كلمة لا تدركه غير كلمة لا تراه، إذن تراه الأبصار لكن لا تدركه= فلما نفى إدراك الأبصار له سبحانه وتعالى دلَّ على أنه يُرى، لكن من غير إحاطة، فالأبصار لا تحيط به سبحانه؛ لكمال عظمته عزّ وجلّ.

وهكذا قوله تعالى: **{لَنْ تَرَانِي}** =نفيٌ يدلّ على التأبيد، ونحن نقول نعم على التأبيد، لكن في الدنيا، ليس التأبيد العام أبدا= فقد زعم المستدلون بهذه الآية على نفي الرؤية بناء على أنَّ (لن) تدل على التأبيد، يعني: لن تراني أبداً.

وقد ردَّ المحقِّقُون من أهل اللُّغَة القول بأنَّ (لن) تفيد التأبيد، كما قال ابن مالك في (الكافية الشافية) =وهي منظومة في النحو=:

وَمَنْ يَرَى النَّفْيَ بِـ (لَنْ) مُؤبَّدَا .. فَقَولَهُ ارْدُدْ وَخِلاَفَهُ اعْضُدَا

=مردود قول من يقول: أن لن للتأبيد= فالصحيح أنَّ (لن) تكون للتأبيد ولغير التأبيد، ومما يدل على ذلك قوله سبحانه وتعالى في اليهود: **{وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ}** -يعني الموت- **{أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ}** (البقرة: ٩٥)، فاجتمع في هذه الآية (لن) مع ذكر التأبيد، **=**{وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا}،= وقد أخبر سبحانه وتعالى أن

أهل النار يتمنون الموت كما قال سبحانه: **{وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ}**. (الزخرف: ٧٧)

فعُلم أن النفي في آية البقرة –وهو نفي تمنيهم الموت– إنما هو في الدنيا =تأبيدا=، بدليل تمنيهم الموت في الآخرة بعد دخولهم النار =قال: **{وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا}**، قال هذا في النار، لكن في الآخرة تمنوه، إذا أين كلمة (لن) عندكم أيها النحويون أنها للتأبيد حتى في الآخرة= كما في آية الزخرف.

وأيضاً فإنه تعالى لو كان لا يُرى أبداً، لم يقل لموسى عليه السلام: **{لَنْ تَرَانِي}**، ولقال له: **(إني لا أُرى)**، =ومقصوده لن تراني الآن في الدنيا=، وفرقٌ بين اللَّفظين، فإنَّ قولَه: **{لَنْ تَرَانِي}** يُفهم منه أنه تعالى يُرى ولكنَّ موسى لن يراه في ذلك الوقت الذي طلب فيه الرؤية...

ومن أقوال أهل البدع المنحرفة في مسألة **(الرؤية)** قولُ الأشاعرة! فإنهم يقولون: إنَّه تعالى يُرى لكن لا في جهة، =إذا قلت أنت في جهة إذن حيزت، لا في جهة= يعني: لا يُرى من فوق، ولا عن يمين، ولا عن شمال، ولا من أسفل، =ولا من أمام ولا من خلف= وهذا دارجٌ على طريقتهم في التلفيق في باب الصفات، =يثبتون لكنهم يؤولون= كما صنعوا في إثبات الصفات فأثبتوا بعضها ونفوا أكثرها.

ومثل ذلك قولهم في صفة الكلام، فإنهم أثبتوا الكلام النفسي، ونفوا الكلام المسموع.

وهكذا قولهم في **(الرؤية)** ملفَّقٌ من مذهب أهل السنة، =يُرى؟ نعم يرى! لكن لا يمين ولا شمال، ولا فوق ولا تحت ولا أمام ولا خلف، والله عجيب قولهم.=

ومنشأُ قول الأشاعرة من أنه تعالى يُرى لا في جهة هو أنهم ينفون صفة (العلو) لله عز وجل، =فالله عندهم في كل مكان، موجود في كل الوجود نسأل الله السلامة.=

فهم ينفون علوَّ الله عز وجل على خلقه، فالله عندهم في كل مكان، ولا يوصف بأنه فوق المخلوقات، بمعنى:

أنه فوقهم بذاته! لكن إذا قالوا: بأن الله فوق المخلوقات فيعنون بذلك الفوقية المعنوية، =يعني أنه القاهر والفوقية المكانة، علو المكانة لا علو المكان= وهي فوقية القَدْر.

فمذهب أهل السنة والجماعة حقٌّ خالصٌ، ومذهب الجهميَّة والمعتزلة مذهبٌ باطلٌ ليس فيه من الحقِّ شيءٌ، ومذهب الأشاعرة فيه حقٌّ وباطلٌ، فقولهم: (إنه يُرى بالأبصار) حقٌّ، وقولهم: (لا في جهة) باطلٌ.

فالمهم أنَّ الناظمَ رحمه الله أجاب بهذا الجوابِ المختَصَرِ: (**رُؤيَتُهُ لِمَنْ هُوَ مُهْتَدِي**)، وهذا الجواب جوابٌ مجمَلٌ لا تفصيل فيه، فلا يمكن من خلاله تحديد مذهب الناظم؛ هل هو جارٍ على مذهب أهل السنة من أنَّه تعالى يُرى بالأبصار؟ وأن المؤمنين يرون ربهم من فوقهم،؟ أو أنَّه جارٍ على طريقة الأشاعرة؟ من أنه تعالى يُرى لكن في غير جهة؟

=**نرجع إلى كلام الناظم** هو يجزم بهذا ويثبت الرؤية= فالجزم بهذا أو ذاك يحتاج إلى الرجوع =حتى نتأكد مما يريد هو= إلى ما يوجد من كلامه في هذه المسألة في غير هذا الموضع.

-**في الحاشية** =يقول المحشي أي محقق الكتاب=: وقد وقفتُ على كلامٍ له في بعض كتبه صرَّح فيه بمذهبه في هذه المسألة، فقال في كتابه (التمهيد في أصول الفقه) (٣/ ٢٨٥) ما نصه: (وإجماعُنا أنَّ الله يُرَى لا في جهةٍ)، وهذا النصَّ صريحٌ في أنه جارٍ على مذهب الأشاعرة في هذه المسألة، وقد ورد عنه أيضاً إنكارُ الجهةِ لله عز وجل، فقال في كتابه (الانتصار) (٢/ ١٧٣): (وفي استقبال الله سبحانه على الحقيقة لا يُتَصَوَّر معنى الابتلاء؛ لأنَّه سبحانه لا جهةَ له).-

=**رحمه الله ويعتذر له**؛ لأن منهج المتكلمين كان طاغيا في ذلك الزمان، قليل جدا من كان على منهج السلف، فأبشروا يا عباد الله لأن وُفِّقْتم لأن تدرسوا هذا المنهج الذي فيه الصفاء والنقاء إن شاء الله سبحانه وتعالى.=

ومن المسائل المتعلقة بالرؤية: أنَّ المؤمنين يتفاوتون في رؤيتهم لربهم عزَّ وجلَّ، فليسوا هم على درجةٍ واحدةٍ في ذلك، =يعني بعض الناس يرى الله كلّ جمعة مرة، وبعضهم يرى الله كلِّ يوم مرة، وبعضهم يرى الله في يوم مرتين، وهؤلاء أعلاهم، نسأل الله أن نكون منهم يا رب وقد جاء ما يدل على هذا.=

وهذا هو موجب حكمةِ الربِّ وفضلِهِ في جزاء أوليائِهِ، فلا يُسَاوَى مَن يكون في أدنى درجات الجنَّةِ بمَن هو في أعلى درجاتها؛ من الأنبياء والصديقين، والكُمَّل من أتباع الرسل، بل بينهم تفاضل في ذلك، فكما أنهم متفاضلون في الدرجات، فكذلك هم متفاضلون في نظرهم إلى ربهم.

وقد جاء ما يدل على أنَّ أهلَ الجنة لهم موعدٌ يرون فيه ربهم، وهو يقابل يوم الجمعة في الدنيا، وأن ذلك اليوم يسمى (يوم المزيد) يوم القيامة، =يرجعون من هذا اليوم وقد ازدادوا حسنا وجمالا ونعما عظيمة من الله سبحانه وتعالى.=

وأما أهلُ الدرجاتِ العُلَى -الأنبياءُ والصدِّيقُون- فقد جاء في الصحيحين عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ =رضي الله تعالى عنه= عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ القَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الكِبْرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ**». (٢٠)، =في رواية أخرى (كبرياء)، وهي للبخاري ومسلم: رداء الكبرياء على وجهه سبحانه في جنة عدن.=

ومن المسائل أيضاً: =وهي= رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه عز وجل ليلة المعراج، وهذه المسألة الخلاف فيها =كبير و= مشهورٌ بين =جمهور العلماء، وجمهور= أهل السنة.

والصحيح في المسألة =مسألة رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه= أنه صلى الله عليه وسلم لم ير ربه بعيني رأسه، =وإنما رآه بقلبه، هذا هو الراجح الذي سأل عنه أبو ذر رضي الله تعالى عنه.=

---

(٢٠) (خ) ٧٤٤٤ واللفظ له (م) ٢٩٦- (١٨٠).

-عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: "**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ!**"- ([٢١])، =جوٌّ كلُّه نور، فكيف يرى الله عز وجل، لكن يوم القيامة يعطي الله عز وجل الناس، يعطي المؤمنين قوَّة في أبصارهم فيرون الله.

صفة العلم لله سبحانه وتعالى

قال الناظم رحمه الله تعالى:

٢٣- قالوا: فَهَلْ لله عِلْمٌ؟ قُلْتُ: مَا * مِنْ عَالِمٍ إلاَّ بِعِلْمٍ مُرْتَد**

قوله: (**قالوا: فَهَلْ لله عِلْمٌ؟**) يعني: هل يوصف الله عز وجل بالعلم؟ فهل يُقال: عِلْمُ الله، كما يقال: حياتُه =سبحانه= وسمعُه وبصرُه؟ =نثبتها صفات لله عز وجل؟=

فقال: (**قُلْتُ: مَا مِنْ عَالِمٍ إلاَّ بِعِلْمٍ مُرْتَدِ**) =هم أثبتوا اسم عالم، لكن هل أثبتوا صفة العلم؟ فرقوا بينهم، نسأل الله السلامة، فقال: ما من عالم إلا بعلم مرتد؛ أي متصف بالعلم، وعليه صفة العلم.=

يعني: كلُّ مَن قيل عنه: إنَّه عالمٌ، فلا بد أن يكون العِلْمُ صفةً له، خلافاً للمعتزلة الذين يقولون: عليمٌ بلا علمٍ، =والله أنا لم أفهم؟!= سميعٌ بصيرٌ بلا سمعٍ ولا بصرٍ!!

=فهل نستطرد ونقول: قدير بلا قدرة، وقوي لا قوة، وخالق بلا خلق، سبحان الله! هداهم الله=، وهذا بناءً على أصلهم الفاسد في إثبات الأسماء ونفي الصفات، =ينفي الاسم ويثبت الصفة؟= فلما كان أصلُ مذهبهم نفي صفات الباري سبحانه وتعالى وإثبات الأسماء، أثبتوا الأسماء ونفوا ما تدل عليه من المعاني.

ففي هذا البيت رَدٌّ لمذهبِ المعتزلة، وتحقيقٌ للمذهب الحق في أن أسماءه تعالى متضمنةٌ للصفات، فكلُّ اسمٍ متضمِنٌ لصفةٍ، فالاسم من أسماء الله =عز وجل= يدل على ذات الله، =لاحظ كل اسم يدل

([٢١]) (م) ٢٩١- (١٧٨).

على ذاته، والاسم من أسماء الله يدل= على صفته **بالمطابقة،** =فالرحمن تدل على أنه رحيم، رحمن اسم، ورحيم صفة= وعلى أحدهما بالتضمُّن، وعلى ما يستلزمه هذا الوصف بطريق اللزوم.

=فلذلك كما ورد= –في الحاشية: تنقسم الدلالة اللفظية الوضعية إلى ثلاثة أقسام:

١– دلالة **المطابقة**: وهي دلالة اللفظ =سواء الاسم أو غيره= على كمال المعنى الذي وضع له.

٢– دلالة **التضمن**: وهي دلالة اللفظ على جزء المعنى الموضوع له.

٣– دلالة **الالتزام**: وهي دلالة اللفظ على أمرٍ خارجٍ عنه لازمٍ لمعناه لزوماً ذهنياً.

ينظر تفصيل ذلك في: (شرح السُّلَّم المُنَوْرَق) للأَخْضَرِي (ص٢٥– ٢٦)، و (المنطق المفيد) للبَهْنَسِي (١/ ١٣– ١٤)، و (آداب البحث والمناظرة) للشنقيطي (ص: ٢٠).–

=والآن نرجع إلى الشرح وضرب أمثلة تشمل الأقسام الثلاثة التضمن والالتزام والمطابقة.=

فاسمه (**العليم**) مثلاً يدل على ذات الله، =عالم=، و=يدل= على صفة العلم بالمطابقة، =من نفس اللفظ=، وعلى أحدهما بالتضمن، =وتدل على الحياة، كيف يكون عالما وليس بحي؟= ويدل على صفة (**الحياة**) بطريق اللزوم، فإنَّ العلمَ مستلزم للحياة.

وعلى هذا فتكون أسماء الله **مترادفةً** في دلالتها على الذات، فتقول: العليم هو العزيز، وهو الحكيم، وهو القدير؛ لأنَّ المسمَّى بها واحدٌ.

ومتباينةً في دلالتها على الصفات، =الأسماء متباينة أي مختلفة في الدلالة على الصفات؛ لأنّ كلّ اسم قد يدلّ على صفة معينة تختلف عن الاسم الآخر= فيصح أن تقول: العليمُ غير الحكيم، =في اللغة قد يكون عالم، لكنه ليس بحكيم لا حكمة عنده= والعزيزُ غير القدير، والسميعُ غير البصير، وذلك بالنظر إلى اختلاف معاني هذه الأسماء، =إذا هناك بالتطابق والالتزام والتضمن، وهنا تكون دلالتها متباينة.=

وقوله: (**مَا مِنْ عَالمٍ الا بِعِلْمٍ مُرْتَدِ**) (**مُرْتَدِ**) كأنَّه أخذها =وأخذ العلم ولبسه= من الرِّدَاء، أي: متصِفٌ بالعلمِ، فالعلمُ صفةٌ قائِمَةٌ بالله عزَّ وجَلَّ، فلا يُعقَل أن يوجد عالمٌ بلا علمٍ، فكلُّ مَن وُصِف بأنه عالمٌ أو عليمٌ فلا بد وأن يكون العلمُ صفةً له قائمةً به.

وبهذا يُعلم أن أسماء الله عز وجل ليست أعلاماً محضةً، =لا تدل على معانٍ أخرى لا= كما هو مقتضى قول المعتزلة من أن أسماء الله =عندهم= أعلامٌ محضةٌ لا تدل على معانٍ، بل الصحيح أنها أعلامٌ وصفاتٌ، فـ (**الرحمن**) عَلَمٌ على الرَّبِّ، وهو أيضاً صفةٌ له سبحانه وتعالى، أنه رحيم يرحم مخلوقاته.

ونظير هذا أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم فإنها أعلامٌ وصفاتٌ، فاسمه صلى الله عليه وسلم (**محمَّد**) ليس كاسم (**محمَّد**) من سائر الناس، فأسماء الناس هي أعلامٌ فقط، لا تدلّ على صفة، أما اسم الرسول صلى الله عليه وسلم (**محمَّد**) فإنَّه عَلَمٌ على شخصه صلى الله عليه وسلم، ودالٌّ على كثرة محامِدِه وكثرة ما يُحمد =به.=

فـ (**محمَّد**) اسمٌ مفعولٌ من حُمِّد، وهكذا اسمه (**أحمد**) هو أفعل تفضيل من الحمد، فهو صلى الله عليه وسلم أحمدُ من غيره، أي أكثر حمداً لله عز وجل من غيره.

وحَظُّهُ من حَمْدِ النَّاس له أكثر من غيرِهِ، =هو يحمد الله كثيرا، لا يوجد أحد مثله، وهو المحمود يُحمَد أكثر من غيره من الناس صلى الله عليه وسلم، فإذا بالمطابقة والالتزام والتضمن ثابتة له، وكذلك أسماؤه الأخرى كلها تدل على معان.=

فاسمه (**أحمد**) قيل: إنَّه مشتقٌ من حُمِد، وقيل: مشتقٌ من حَمِد، وكلا المعنيين صحيحٌ في حقِّه صلى الله عليه وسلم.

وهكذا أسماؤه الأخرى كلُّها تدلُّ على معانٍ: البشيرُ النذيرُ، =فهذه تدل على المعاني الثلاثة= السراجُ المنيرُ، وغيرها من الأسماء، وقد ثبت في الصحيح عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "**إِنَّ لِي أَسْمَاءً، أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِيَ الْكُفْرَ،**

وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمَيَّ، وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ"، =يعني ليس بعده نبي.=

وَقَدْ **{سَمَّاهُ اللهُ رَؤوفًا رَحِيمًا}**. (٢٢)

=**{ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}**. (التوبة: ١٢٨)، مطابقة وبالالتزام والتطابق، لكن واحد اسمه رحيم من الناس، لكنه ربما يكون من أقسى الناس لا رحمة عنده، فأين المطابقة؟ فهذا علم محض لا يكون معنى يتضمن معنى الصفة، والله أعلم.=

وهذا يدل على أنَّ أسماءه صلى الله عليه وسلم هي أعلامٌ وصفاتٌ أيضاً.

وكذلك أسماءُ الرَّب سبحانه وتعالى ليس شيءٌ منها عَلَمَاً محضاً لا يدل على معنى، بل هي أعلامٌ وصفاتٌ، حتى اسمه (**الله**) الذي هو أخصُّ أسمائه به سبحانه وتعالى، هو عَلَمٌ وصفةٌ، والتحقيق =في العلم والصفة= أن هذا الاسم مشتقٌ وليس بجامد، ف=لفظ الجلالة= (**الله**)، أصلها (**الإله**)، قيل: حُذفت الهمزةُ، وأُدغِمَت اللام في اللام مع التفخيم فصار (**الله**)، فهو يدل على الألوهية، فالله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، كما قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنه.

وهذا الجواب من الناظم رحمه الله يتبين منه أنه يُثبت الاسم والصفة، فهو سبحانه =وتعالى= عليمٌ بعلمٍ، وقد أحسن في هذا =الموضوع وهذه الصفة= رحمه الله، وأصاب الصواب فجزاه الله خيراً، والله أعلم، =يعني لا تعقيب لنا عليه في هذا، في مسألة الاسم والصفة.=

الكلام صفة قديمة النوع متجددة الآحاد

قال الناظم رحمه الله تعالى:

٢٤- قالوا: تَصِفُهُ بِأَنَّه مُتَكَلِّمٌ؟ * قُلتُ: السُّكُوتُ نَقِيْصَةٌ بِالسيِّد**

---

(٢٢) (خ) (٣٥٣٢)، (م) ١٢٥- (٢٣٥٤)، واللفظ له.

قوله: (**قالوا: تَصِفْهُ**) بسكون الفاء =والأصل أنه مرفوع والسبب القافية= لضرورة الوزن، وإلا فالأصل أنه مرفوعٌ؛ لأنه فعلٌ مضارعٌ تجرَّد من النَّاصِب والجَازِم، ووقع في (المنتَظَم): (**قالوا: فَيُوصَفُ أَنَّه مُتَكَلِّمٌ؟**).

هذا هو السؤال، أي: **هل الله متكلِّمٌ؟ وهل هو موصوفٌ بالكلام؟**

فأجاب الناظم رحمه الله عن هذا السؤال بقوله: (**قُلتُ: السُّكُوتُ نَقِيْصَةٌ بِالسيِّدِ**)، =وقد كرر أكثر من مرة صفة السيد لله سبحانه وتعالى=، ويفهم من هذا الجواب أنَّ الله متكلِّمٌ، خلافاً للجهمية والمعتزلة القائلين؛ بأنَّه تعالى غيرُ متكلِّم، ولا يقوم به الكلام، بل لا تقوم به أيُّ صفةٍ من الصفات –تعالى الله عن قول الظالمين والجاهلين والمفترين علواً كبيراً، **{سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ}**. (النور: ١٦)، =يصفون الله عز وجل بصفة له سلبية، لا يتكلم.

وأي نقيصة تلحق بالبشر لأنه لا يتكلم، عندي طفل حفيد قارب السنتين وهو لا يتكلم، والكلُّ يريده أن يتكلم، إذن عدم الكلام صفة نقص أم مدح؟ صفة نقص، وصفة ذم، لذلك يقولون عن فلان: أخرس، أو فلان أبكم، هذا في البشر نسأل الله السلامة، فهم يريدون أن يصفوا الله تعالى بصفة النقص، من حيث أرادوا التنزيه! نسأل الله السلامة.=

فعدم القدرة على الكلام نَقِيصَةٌ وأيُّ نَقِيصَة، والله عز وجل قد احتجَّ على بني إسرائيل وبَيَّنَ لهم بطلان إلهيَّةِ العِجْل بأنَّه لا يتكلَّم، والذي لا يتكلم يكون ناقصاً، والناقص لا يصلح أن يكون إلهاً، كما قال تعالى: **{وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ الَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ}**. (الأعراف: ١٤٨)

وقال في الآية الأخرى: **{فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقالوا هَذَا الهُكُمْ وَالهُ مُوسَى فَنَسِيَ}** =والطعن في هذا الإله= **{أَفَلَا يَرَوْنَ ألا يَرْجِعُ اليْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا}**. (طه: ٨٨ – ٨٩)، =لا يتحدث إليهم ولا يتكلم معهم، حتى لو سبوه لا يرد، لا يتكلم، إذن عدم الكلام صفة نقص، نسأل

الله السلام= فالكلام ضده الخَرَس، والخَرَس عيبٌ وأيُّ عيبٍ، فالجهمية عطَّلُوه سبحانه =وتعالى= عن صفات الكمال، =وصفات كثيرة جدا= ومنها الكلام.

وتعبير الناظم رحمه الله **بـ(السكوت)** هنا إما أن يكون أراد به الخَرَس، **لكنه** لجأ إلى التعبير بالسُّكُوت لأجل النظم، إذ لم يسعفه التعبير بالخَرَس، وإما أن يكون ممن يذهب إلى أن الله تعالى لا يوصف بالسكوت.

وثَمَّةَ فَرْقٌ بين الخَرَسِ والسكوت، =ويوجد فرق، كإنسان يتكلم لكنه ساكت، وإنسان آخر لا يستطيع لكنه عن عيب ومرض فيه، **أما الساكت** قادر ويستطيع،= **فـ(الخَرَس)** هو العَجْزُ وعدمُ القدرة على التكَلُّم، **فالأخرس** كالأبكم، **وأمَّا (السكوت)** فهو ترك الكلام ممن هو قادرٌ عليه، **فالقادر** على الكلام يتكلَّم إذا شاء ويَسْكُت إذا شاء.

فالسكوتُ ذاتُه ليس عيباً على الإطلاق، وإنما العيب سكوت الأخرس وعدم تكلمه، فإذا كان السكوت بسبب العجز عن الكلام فهو عيب ونقص بلا ريب، وأما إذا كان السكوت عن اختيار ومشيئة، فهذا لا يُعَدُّ عيباً ولا نقصاً.

فكان الأجدر بالناظم أن يُعَبِّرَ بغير السكوت، **ولكن** لا ريب أن مقصوده **بـ(السكوت)** السكوتُ عن عَجْزٍ لا عن مشيئةٍ واختيارٍ.

قوله: (**نَقِيصَةٌ**) أي: خَصْلَةٌ ذَمِيمَةٌ، فالعجز عن الكلام يعدُّ نقصاً في المخلوق فكيف بالخالق؟

فإذا كان الكلام صفة كمال في المخلوق، فالله تعالى أولى وأحرى أن يكون متكلِّماً، =والكلام صفة للسيد الذي هو الله سبحانه وتعالى.=

وقوله: (**بالسَّيِّدِ**) (السَّيِّدُ): هو الله عز وجل، وهو اسمٌ من أسمائِه سبحانه.

– عَنْ مُطَرِّفٍ، قَالَ: قَالَ أَبِي: انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: **"السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى"** قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا، فَقَالَ: **"قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ"**. (٢٣)

هذا، وقد اختلفَ النَّاسُ في كلامِ الله:

فذهبت الجهمية والمعتزلة إلى نفي الكلام عن الله تعالى كسائر الصفات.

وذهبت الكُلاَّبيّة والأشاعرة =فأثبتوا الكلام لكنهم ذهبوا= إلى أنَّ كلامَ الله معنى واحدٌ نفسيٌّ، أو هو أربعة معانٍ، لكن كلامه ليس بحرفٍ ولا صوتٍ، فكلامه لا يُسْمَع منه، بل هو أمرٌ معنويٌّ، قائمٌ بنفسِه، =أبعدوا كثيرا في الشرح والتفصيل نسأل الله السلامة.=

فالأشاعرة يقولون: كلام الله هو معنى نفسيٌّ واحِدٌ قديمٌ، =يعني كان يتكلم ولا يزال، ما في سكوت أبدا.=

فقولهم: (**هو معنى نفسيٌّ**): يعني ليس بحرفٍ ولا صوتٍ.

وقولهم: (**واحدٌ**): يعني ليس فيه تَعَدُّد، =لا يأتي بكلمات كثيرة.=

وقولهم: (**قديمٌ**): يعني ليس بمشيئته سبحانه وتعالى، بل هو لازمٌ لذاته كحياته.

وفي المسألة مذاهب أخرى، وكل هذه المذاهب الكلامية فيها حقٌّ وباطلٌ.

والمذهبُ الحقُّ الخالصُ من الباطلِ هو مذهب أهل السنة والجماعة، =حشرنا الله معهم، اللهم آمين= فحقيقة مذهبهم أنَّ الله تعالى لم يزل يتكلَّم إذا شاء بما شاء كيف شاء، فكلامه عزَّ وجلَّ قديمُ النَّوع حادِثُ الآحاد، =متجدد الآحاد= فالله سبحانه نادى الأبوين آدم وحواء:

---

(٢٣) (د) (٤٨٠٦).

-كما في قوله تعالى: **{فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا}** =وهذا يثبت أنه يوجد كلام= **{أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ}**. (الأعراف: ٢٢)].

ونادى كليمه موسى عليه السلام:

-كما في قوله تعالى: **{وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ القَوْمَ الظَّالِمِينَ}**. (الشعراء: ١٠)، وقوله تعالى: **{يَا مُوسَى}** =وهذا نداء سمعه موسى= **{إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ}**. (النمل: ٩) وغيرهما.-

ونادى خاتمَ رسله، وخيرة خلقه؛ نبينا **محمدا** صلى الله عليه وسلم:

-كما في قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ}**. (في مواضع، ومنها: التحريم: ١ و ٩)، **و {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ}**. (المائدة: (٤١) و (٦٧)).-

وهو سبحانه ينادي **ملائكته** أو من شاء من ملائكته:

-كَمَا أَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ (٢٠٢) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرُو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلَا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ: **{رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}**. (إبراهيم: ٢٦)، وَقَال عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: **{إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ}**. (المائدة: ١١٨)، فَرَفَعَ يَدَيْهِ، وَقال: (**"اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي"**) وَبَكَى، (**"فَقَال اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا جِبْرِيلُ"**) =هذا هو الشاهد، بالله عليكم هذا كلام وقولٌ أم ليس بكلام؟= (**"يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إلى مُحَمَّدٍ -وَرَبُّكَ أَعْلَمُ- فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَسَالهُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بِمَا قَال -وَهُوَ أَعْلَمُ-، فَقَال اللَّهُ: يَا جِبْرِيلُ! اذْهَبْ إلى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ"**).=

وأخبر سبحانه أنه ينادي **المشركين** مُوبِّخاً لهم يوم القيامة، فقال تعالى: **{وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ}**. (القصص: ٦٢ و٧٤)، وقال: **{وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ المُرْسَلِينَ}**. (القصص: ٦٥)

فأهل السنة عندهم أنَّ كلام الله صفةٌ قائمةٌ به، تابعةٌ لمشيئته، فهي صفةٌ ذاتِيَّةٌ فعليَّةٌ، وأنَّه سبحانه يتكلَّم بصوتٍ يسمعُه مَن شاء سبحانه وتعالى، فموسى كلَّمَه ربُّه فسَمِعَ كلامَ ربِّه منه إليه بلا واسطة، ولكن من وراء حجاب، وليس كلام الله ككلام البشر أو أحدٍ من الخلق، كسائر صفاته سبحانه وتعالى، وهذا =هو= مذهبُ أهلِ السُنَّة والجَمَاعَة في صفة كلام الله عز وجل.

=**وأما السكوت** فقد ورد حديث أن الله يسكت سبحانه= وإذا كان الله عز وجل يتكَلَّم إذا شاء كيف شاء، فهذا يقتضي أنَّه سبحانه يتكلَّم إذا شاء ولا يتكلَّم إذا شاء، وهذا هو السكوت، ومما ورد في نسبة (السكوت) إلى الله عز وجل قولُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم: ("**إنَّ الله فَرَضَ فرائضَ فلا تضيّعُوها، وحَدَّ حدوداً فلا تَعْتَدُوها، وسَكَتَ عن أشياء رحمةً بكم غير نِسيَان فلا تسألوا عنها**). -في الحاشية: أخرجه الطبراني في (الكبير) (٢٢/ ٢٢١ رقم: ٥٨٩)، وفي (مسند الشاميين) (٤/ ٣٣٨ رقم: ٣٤٩٢)، والدارقطني في (سننه) (٤/ ١٨٤ رقم: ٤٣٥٠)، وأبو نعيم في (الحلية) (٩/ ١٧)، والبيهقي في (الكبرى) (١٠/ ١٢- ١٣)، والخطيب في (الفقيه والمتفقه) (٢/ ٩)، جميعهم من طريق مكحول عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه مرفوعاً، وهذا إسنادٌ منقَطِعٌ، فإنَّ مكحولاً لم يصحَّ له سماعٌ من أبي ثعلبة، كما قاله غير واحد من الحفاظ.

إلا أنَّ للحديث شاهداً حسناً من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، أخرجه البزَّار في (مسنده) (١٠/ ٢٦ رقم: ٤٠٨٧)، وقال: إسناده صالحٌ، والدارقطني في (سننه) (٢/ ١٣٧)، والحاكم في (المستدرك) (٢/ ٣٧٥)، وقال: صحيح الإسناد، والبيهقي في (الكبرى) (١٠/ ١٢ رقم: ١٩٥٠٨).

وعلى هذا؛ فالحديث حسنٌ بشواهده، وقد حسَّنَهُ النوويُّ في (الأربعين)، (رقم: ٣٠)، والحافظُ أبو بكرِ ابنُ السمعاني في (أماليه) قاله ابن رجب في (جامع العلوم والحكم)، وغيرهما، والله أعلم.-

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في (مجموع الفتاوى) (٦/ ١٧٩) بعد أن أورد حديث أبي ثعلبة رضي الله عنه: (ثبت بالسنة والإجماع أن الله يوصف بـ (السكوت)، لكن السكوت يكون تارة عن التكُّلم =عموما= وتارة عن إظهار الكلام وإعلامه)، =فهذه لا يوصف بها كصفة مدح، أما السكوت عن التكلم وتارة عن إظهار الكلام وإعلامه، هذا هو المقصود، والله أعلم.=

القرآن كلام الله

قال الناظم رحمه الله تعالى:

٢٥- قالوا: فَمَا القُرْآنُ؟ قُلتُ: كَلاَمُهُ * لاَ رَيْبَ فِيهِ عِنْدَ كُلِّ مُوَحِّد**

قوله: (**قالوا: فَمَا القُرْآنُ؟**) يعني: ما الذي تعتقده =في كلام الله تعالى= في القرآن؟ وهذا السؤال أخصَّ من السؤال السابق.

فأجاب بقوله: (**قُلتُ: كَلاَمُهُ**) =أي نفس الكلام والصفة التي تحدثنا عنها في السابق التي تحدث بها القرآن= أي: إنَّ القرآنَ كلامُ الله، وهذا =من الناظم= كلامٌ سديدٌ وجيّدٌ، لكنَّه لا يظهرُ به مذهبُ أهل السنة والجماعة بشكلٍ واضحٍ مع تعدُّدِ المذاهب في كلام الله عزّ وجلّ، فغاية ما في هذا الجواب أنَّه يتضمَّن الرَدَّ على الجهمية والمعتزلة الذين يقولون: (القرآنَ مخلوقٌ)، =وفي هذا البيت رد عليهم= وأما أهل السنة والجماعة فيقولون: (**القرآنَ كلام الله، مُنَزَّلٌ غيرُ مخلوقٍ**).

فجوابُ الناظم هنا مقتضبٌ =مقتصر= وفيه إجمال، وكثيرٌ من أجوبته في هذه القصيدة مقتَضَبَةٌ، وموجَزَةٌ ومجمَلَةٌ لا يتضح بها مذهبُه على وجهِ التحديد، =ولكن يعتذر له.=

فقوله: (**قُلتُ: كَلاَمُهُ**) هذا حقٌّ، فالقرآن كلام الله =سبحانه وتعالى=، لكنه في الحقيقة جوابٌ مجملٌ من غير تفصيل، فكل الطوائف يقولون: (القرآن كلام الله)، لكنهم عند التفصيل لكل واحدٍ من تلك الطوائف مذهبٌ.

فالجهمية والمعتزلة يقولون: القرآن كلام الله، لكن إضافته إلى الله -عندهم- من إضافة المخلوق إلى خالقه، =بيت الله، ناقة الله، مخلوقات= لا من إضافة الصفة إلى الموصوف.

وأما **الأشاعرة والكلابية** فيقولون: القرآن كلام الله، لكنَّ كلامَ الله هو معنىً نفسي، فيقولون: إن هذا القرآن المكتوب هو عبارةٌ عن كلامِ الله، فكلام الله -عندهم-؛ هو المعنى القائم بذات الربّ عزّ وجلّ، فهو عبارة أو حكاية عن كلام الله، فتسميتهم للقرآن بأنه كلام الله هو على جهة المجاز، فكلام

الله حقيقة هو المعنى النفسي، وهذا القرآن المسموع المتلوّ المكتوب هو كلام الله؛ لأنَّه عبارة عن هذا المعنى النفسي.

ومن طوائف المتكلمين: **السالمِيَّة**، =وهي من طوائف أهل الكلام= ومذهبهم في كلام الله أنَّه حروفٌ وأصواتٌ =وهذا كلام جيّد، لكن المشكلة فيما بقي= لكنَّها كلَّها قديمةٌ لا يتقدَّم بعضُها على بعضٍ، =أريدك أن تتصور هذا، وهو كما في قولك: بسم الله الرحمن الرحيم= فليست الباءُ قبل السينِ، ولا السينُ قبل الميمِ في (البسملة)، =وهذا شيء عجيب منهم=، ولذلك يُعرَفُون بـ (**الاقترانية**)، =أي قرنُ الكلامِ كلِّه مع بعضه، وهو بصوت وحروف، ولكنهم خالفوا أهل السنة في الاقتران.=

ومعنى هذا: أنَّ الله لم يزل متكلِّمَاً بكلِّ كلامٍ يُضاف إليه، فلم يزل قائلاً: يا موسى، أو يا آدم، =يا أيها الناس= وهذا ظاهرُ الفسادِ عقلاً وشرعاً.

فظهر بهذا أنَّه لا يمكن أن يتبيَّن مذهب الشخص إلا بالتفصيل، =ونحن نقول في هذه الأمور عموما، إن قرأت كتابا لإنسان لا بد أن تُرجِعَ كلامَه إلى أقواله في كتبه وأقواله وكلماته الأخرى؛ إن صار عندك شبهةٌ أو إشكال، فتعرف من كلامه الآخر كلامَه الذي بين يديك.=

فمن عُرِف بالسُنَّة المحْضَةِ؛ حُمِلَ كلامُه المجْمَل على ما هو معروفٌ من مذهبه.

ومن عُرِفَ بالبدعة حُمِلَ كلامُه على ما هو معروفٌ من مذهبه.

وأما من لم يعرف مذهبه على وجه التحديد فيصبح كلامه مجملاً يحتاج إلى بيان، وذلك بالنظر في سائر كلامه، =فإنسان يتكلم بكلام السنة؛ كالإمام أحمد ابن حنبل، أو ابن تيمية، فإذا قال كلاما يوحي عندي أن فيه تشبيها أو تعطيلا أو تمثيلا؛ أنا أعرف أنه من أهل السنة، فمباشرة آخذ كلامه، وأؤوله على الحقِّ والصواب.

وأهل البدعة كذلك، لكن الذي لا أعرفه يقول: أنا منهجي منهج الإمام أحمد، **فماذا أقول فيه؟ وبماذا أحكم عليه؟**

أرجع إلى كتبه كما حدث مع الناظم هنا= أو بالنظر في مواضع أخرى له يمكن أن يُعرَف من خلالها حقيقةُ مذهبِهِ، ومن أيِّ الطوائِفِ هو في هذه المسألة.

وقوله: **(لاَ رَيْبَ فِيهِ عِنْدَ كُلِّ مُوَحِّدِ)** أي: إنَّ كلَّ من يؤمن بالله وكتابِه فعنده؛ أنَّ القرآنَ كلامُ الله لا شكَّ في ذلك ولا ريب فيه.

وهذا الكلام =الطيب الجميل= فيه من الإجمال ما فيه، وغايته أنَّ كلَّ واحدٍ يقول: (القرآنُ كلامُ الله) لكن على أيِّ وجهٍ؟

ووقع عند ابن الجوزي في (المنتَظَم) مكان الشطر الثاني: **(مِنْ غَيرِ مَا حَدَثٍ وَغَيرِ تَجَدُّدِ)**، وهذا التعبير أوضح وأصرح، ففيه أنَّ الناظم يقول: إنَّ القرآنَ كلامُ الله، وإنَّه قديمٌ، فالشطر الثاني فيه تتمَّةٌ للجواب، فكلام الله قديمٌ عنده، فالقرآن بهذا قديمٌ.

وهذا يتفق مع ما أطلقه فيما مضى من أنَّ صفاتَ الله كذاتِه قديمةٌ لم تَتَجَدَّد، وقد سبق بيان ذلك، وتقدّم أيضاً مناقشةُ الناظم في حكمه على جميع الصفات بالقِدَم، وهذا الإطلاق يقتضي أنَّ الناظم يقولُ بقِدَمِ كلامِ الله، يعني أنَّ كلامَ الله قديمٌ، فالقرآن أيضاً قديمٌ.

فاللفظ الذي ورد عند ابن الجوزي يتفق مع ما ذكره الناظم في سائر الصفات من أنها قديمة غير متجدِّدَة، وهذا هو مذهب الأشاعرة من أنّ كلام الله معنى نفسيٍّ واحدٌ قديمٌ.

ومعنى **(قديم)** أي: إنَّه لا أوَّلَ له، ولا تتعلقُ به المشيئةُ، =يعني الله يتكلم لكن لا متى شاء، ولا كيف شاء وإذا شاء، هذه صفة عندهم في الذات= وهذا باطلٌ، بل كلامُ الله بمشيئتِه، فهو سبحانه يتكلَّم إذا شاء بما شاء كيف شاء، ولكنَّه لم يزل سبحانه وتعالى متكلِّماً إذا شاء.

والكلابيةُ والأشاعرة والسالميَّةُ كلُّهم يقولون بِقِدَمِ الكلام، يعني: أنَّ كلامَ الله قديمٌ، =هذا صحيح= أي: ليس بمشيئتِه سبحانه، =هذا خطأ= بل هو قائِمٌ به كحياتِه وعلمِه، =وهذا خطأ=.

والصواب؛ ما عليه أهل السنة والجماعة وهو موجَب العقل والسمع، فالكمال هو أن يتكلَّم القادرُ إذا شاء، ويترك الكلام إذا شاء، فكلامه =سبحانه وتعالى= بمشيئته.

القرآن الذي نقرؤه كلام الله

قال الناظم رحمه الله تعالى:

٢٦- قالوا: الذي نَتْلُوهُ؟ قُلتُ: كَلاَمُهُ * لا رَيْبَ فِيهِ عِنْدَ كُلِّ مُوَحِّد**

(**قالوا: الذي نَتْلُوهُ؟ قُلتُ: كَلاَمُهُ**) هذا السؤال أورده الناظم رحمه الله عن هذا (القرآن) الذي نتلوه بألسنتنا، ونكتبه في مصاحفنا، ونسمعه بآذاننا، ونحفظه في صدورنا، = فماذا تقول عنه؟=

ويظهر من هذا السؤال أنَّه تكرارٌ لقوله في البيت السابق: (**قالوا فَمَا القُرْآنُ؟ قُلْتُ: كَلاَمُهُ**)، إلا أنَّه قيَّده في هذا البيت بـ (**التلاوة**) فقال: (**قالوا: الذي نَتْلُوهُ؟**) يعني: ما تقول في هذا الكلام الذي نتلوه؟ أهو كلام الله؟ أم هو كلام البشر تعبيراً عن كلام الله؟

فأجاب عن هذا السؤال بقوله: (**قُلتُ: كَلاَمُهُ**) أي: أنَّ هذا الذي نتلوه بألسنتنا هو كلامُ الله حَقاً، ولا ريب أنَّ القرآنَ كلامُ الله سواءً كان متلوَّاً بالألسن، أو مكتوباً في المصاحف، أو محفوظاً في الصدور، كل ذلك لا يخرجه عن كونه كلامَ الله، فهو كلامُ الله كيفما تصرَّفَ، وهذا ما عليه أهل السنة والجماعة.

ولكن إذا نظرنا إلى قول الناظم رحمه الله في البيت السابق: (**منْ غَيرِ مَا حَدَثٍ وَغَيرِ تَجَدُّدِ**)، فإنّ كلامَه هذا يقتضي أنه يذهب مذهب مَن يقول بِقِدَم كلام الله، **وعلى هذا فقوله** هنا في الذي نتلوه إنه كلام الله هو على سبيل المجاز؛ **لأنَّ هذا** الذي نتلوه هو عبارةٌ عن المعنى النفسي القائم بالرَّب سبحانه وتعالى.

وعلى هذا؛ فالألفاظ التي نتلوها مخلوقةٌ، عُبِّر بها عن المعنى القائم بالرَّب سبحانه وتعالى.

فظهر من هذا أنّ مذهبَ الأشاعرة في هذا القرآن الذي نتلوه لا يختلف عن مذهب الجهمية والمعتزلة وقولِهم إنه مخلوقٌ.

=ويُعتذر لهم أنهم أرادوا تنزيهَ اللهِ سبحانه وتعالى، ولا ينفعهم الاعتذار من الخطأ، وأن هذا خطأ.=

فعند **الأشاعرة** أنَّ كلامَ الله يُطلق حقيقةً على ذلك المعنى النفسي القائم بالرب تعالى، ويُطلق مجازاً على هذا الكلام الذي نتلوه ونسمعه ونكتبه.

وأما **الجهمية والمعتزلة** فعندهم أن هذا الكلام الذي هو القرآن المكتوبُ في المصاحفِ، والمتلُوُّ بالألسُنِ مخلوقٌ، ولم يَقُمْ بذاتِ الرَّبِّ شيءٌ منه لا معنى ولا لفظ.

وقول الناظم: (**قُلتُ: كَلاَمُهُ لا رَيْبَ فِيهِ عِنْدَ كُلِّ مُوَحِّدِ**)، هذا يؤكِّد أنّ القولَ بأنَّ ما نتلوه هو كلامُ الله مما هو متَّفَقٌ عليه بين كلِّ الموحِّدين أي كلِّ المسلمين، =فالكل يقول لك: القرآن كلام الله= فليس عندهم شكٌّ في ذلك ولا ريب.

ووقع في نسخةٍ: (**عندَ كُلِّ مُسَدَّدِ**) أي لا ريب في ذلك عند كلِّ مسدَّدٍ وموفَّقٍ لمعرفةِ الحقِّ واعتقادِه.

ولا يخفى أنَّ كلامَ النَّاظِم رحمه الله في هذا البيت لا يتضمَّن تحريرَ مذهبِه بوضوح، =فكلامه غير واضح=، لكن قد تقدَّم معنا من مجموع كلامه في أوّل النظم وآخره ما يقتضي أنه يذهب في (القرآن) مذهب الأشاعرة لقوله في البيت السابق: (**منْ غَيرِ مَا حَدَثٍ وَغَيرِ تَجَدُّدِ**).

=ونرجع إلى كلام الله في مذهب السالمية،= ويحتمل أنه يذهب في (كلام الله) مذهب **الاقترانية السالمية** القائلين بأنَّ (القرآن) حروفٌ وأصواتٌ قديمةٌ في الأزل، وهو قول مبتدَعٌ مخالفٌ لمذهب أهل السنة، مناقضٌ للعقل والشرع، **=كقولهم**؛ أن الفاتحة قبل سورة الناس لا كلّها مرة واحدة؛ لأنهم جعلوها صفة ذات=، **واحتمال** أن الناظم يذهب في (كلام الله) مذهب الأشاعرة أقرب.

وأما إطلاقه على القرآن أو الذي نتلوه أنه كلام الله، **فقد تقدَّم معنا** أن إطلاق اسم (**كلام الله**) على القرآن، أو على الذي نتلوه قدرٌ مشتَرَكٌ بين الطوائِفِ، **لكنَّ أهلَ السُنَّةِ والجماعة** يقولون: إنَّ القرآن الذي نتلوه ونكتُبُهُ هو كلامُ الله على الحقيقةِ.

أما **الأشاعرة** فعندهم أنَّ إطلاق اسم (كلام الله) على الذي نتلوه هو من قبيل المجاز، =فليس هو كلام الله، بل عبارة عن كلام الله،= **وعند الجهمية والمعتزلة** إضافته إلى الله هو كإضافة بعض المخلوقات إليه كالبيت والناقة، **فإضافة الكلام** إلى الله عندهم من باب إضافة المخلوق إلى خالقه.

والواجب على المسلم أن يعتصم بما مضى عليه الصدر الأول، ومن تبعهم بإحسان قبل أن تفترق الأمة، وتتشعّبَ بهم المذاهبُ والآراءُ المحدَثة، والله يهدي من يشاء إلى الصراط المستقيم.

أَفْعَال العِبَادِ مخلوقة

قال الناظم رحمه الله تعالى:

٢٧- قالوا: فَأَفْعَال العِبَادِ؟ فَقُلتُ: مَا * مِنْ خَالقٍ غَير الإلهِ الأَمْجَد**

(**قالوا: فَأَفْعَال العِبَادِ؟ فَقُلتُ: مَا**) قوله: (**قالوا: فَأَفْعَال العِبَادِ؟**) يعني: ما تقول في أفعال العباد؟ =**فَقُلتُ: مَا مِنْ خَالقٍ غَير الإلهِ الأَمْجَد.**=

ومسألة أفعال العباد من المسائل التي وقع فيها اختلاف بين الناس.

فالجبرية يقولون: إنَّ العبدَ لا فِعْلَ له أصلاً، =مهما فعل، مهما صلى وصام، أو زنى وقتل، أو كفر هذا مجبور= فأفعاله -عندهم- كصفاتِه، =صفة العبد= كطوله ولونه وشكله، =فهل لك أن تتحكم بطولك وعرضك ولونك هذه من الله تعالى لا شأن لك بها=، فهي أفعال مخلوقةٌ لله، وليس للعبد فيها مشيئةٌ ولا اختيارٌ ولا قدرةٌ، بل هو مضطرٌ اليها، كحركة المرْتَعِش =الذي لا يستطيع أن يمنع نفسه من الارتعاش= والنَّائِم، وحركة الرِّيشَة في مهبِّ الرِّيح.

فهذه طريقةُ **الجَبْرِيَّة** الذِين يقولون: إنَّ العبدَ مجبورٌ على أفعاله، وليس له فيها مشيئةٌ ولا اختيارٌ؛...

ويقابل الجبريةَ =وعكسهم تماما= **المعتزلةُ**، فإنَّ **المعتزلةَ** ينفون القَدَرَ، فيُخْرِجُون أفعال العباد عن أن تكون بمشيئة الله وقدرتِه وخلْقِهِ، فأفعال العِبَادِ عندهم ليست واقعةً بمشيئةِ الله ولا بقدرتِه، ولا هي خَلْقٌ من مخلوقات الله، فيُخْرِجُون أفعال العباد عن مُلْكِ الله وعن خلقه.

فالمعتزلةُ =يقال لهم= (نفاةُ القَدَر)؛ ... العبدُ عندهم هو الذي يخلُقُ فِعْلَ نفسِه بمشيئةٍ هو فيها مستَقِلٌّ عن مشيئَةِ الله، فالعبدُ يشاءُ ولو لم يشأ اللهُ، =وهم بذلك نَفَوا قول الله تعالى: **{وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ}**. (الصافات: ٩٦).=

وعلى مذهبهم الباطل فإنَّ الله لا يقدر على أن يجعل المطيع عاصياً، ولا العاصي مطيعاً، ولا الكافر مؤمناً، ولا المؤمن كافراً، **فمذهبهم** يتضمن تَعْجِيزَ الرَّب، وأنه غيرُ قادرٍ، وأنَّه يقع في ملكِه ما لا يريد، فهذان المذهبان على طرفي نقيض.

وأما **الأشاعرة** فالمشهور من مذهبهم؛ أنَّ أفعال العِبَادِ مخلوقةٌ لله، كما يقول الجبرية، بل وكما يقول أهل السنة أيضاً؛ لأنَّ **أهل السُّنَّة** يقولون: هي مخلوقة لله، لكن الأشاعرة لا يقولون: إنها أفعال للعباد بل =يقولون عنها=: هي كسبٌ منهم، =فعل خلقه الله يكسبه العبد، فهم خالفوا أهل السنة بذلك.=

... **وتفسير (الكَسْبِ)** عندهم أنَّه وقوعُ الفعل مقارناً للقدرة الحادثة، فيكون العبد له قدرة، ولكنها قدرةٌ لا تأثيرَ لها في أفعاله، بل غايةُ الأَمرِ أن تكون القدرةُ علامةً على الأفعال، كما هو مذهبهم في الأسباب، فالأسباب عندهم غير مؤثِّرةٍ في مسبَّبَاتها، لكنَّها أماراتٌ، وهم بذلك يقتربون جِدَّاً من مذهب الجبريَّة.

أما **أهلُ السنَّة والجماعة** فيقولون: إن أفعال العباد هي أفعال لهم حقيقة، وهي واقعةٌ منهم بقدرتِهم ومشيئتِهم، وأنَّ مشيئة العباد تابعةٌ لمشيئةِ الله عزَّ وجلَّ على حَدِّ قوله تعالى: **{وَمَا تَشَاءُونَ}** =إذن أثبت لهم مشيئة لكن مقرونة= **{إلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ العَالمِينَ}**. (التكوير: ٢٩)

فأفعال العبادِ هي أفعال لهم قائمةٌ بهم، لكنَّها في نفسِ الوقتِ هي مفعولةٌ ومخلوقةٌ لله عز وجل.

وبعد هذا نأتي إلى عبارة الناظم رحمه الله فقوله: (**فَقُلتُ: مَا مِنْ خَالقٍ غَيرُ الإلهِ الأَمْجَدِ**) فـ (غيرُ) خبرُ (خَالق) فإنَّه مبتدأ دخلت عليه (مِنْ) الزائدة، فهو مجرورٌ في محلِّ رفعٍ.

وكلام الناظم هذا يتضمن أنَّ الله خالق أفعال العباد، وواضحٌ منه أنَّه يردُّ قولَ **المعتزلة**، ويقول: إنَّ أفعال العبادِ مخلوقةٌ لله، ليس هناك خالقٌ إلا الله، فالله عز وجل خالق العباد، وهو خالق أفعالهم، إذاً أفعال العبادِ مخلوقةٌ لله.

وهذا القَدْرُ مشتَرَكٌ بين **الجبريَّة والأشاعرة وأهل السنة** -كما تقدم-، =فكلهم يقولون أن الأفعال كلها مخلوقة لله سبحانه وتعالى.=

وبهذا لم يتضح مذهب الناظم على وجه التحديد، هل هو على مذهب الأشعري أو لا؟

نعم! مستبعدٌ أن يكون الناظم ممن يقول بقول الجهمية الجبرية القائلين بأن أفعال العباد مخلوقةٌ لله، وأنَّ العباد لا قدرة لهم على ذلك ولا مشيئة، **لكن هل هو ممن يقول بمذهب أهل السنة، وهو أن أفعال العباد مخلوقة لله، وهي أفعال لهم حقيقة؟**

أو يقول بمذهب الأشاعرة، وهو أن أفعال العباد مخلوقة لله وكسبٌ من العباد فلا تأثير لقدرتهم ومشيئتهم في أفعالهم؟

هذا أقرب بحسب ما ورد في النظم من المسائل التي عرض لها الناظم رحمه الله وعفا عنَّا وعنه.

الإرادة الكونية القدرية

قال الناظم رحمه الله تعالى:

٢٨- قالوا: فَهَلْ فِعْلُ القَبِيحِ مُرَادُه؟ * قُلتُ: الإرَادَةُ كُلُّهَا لِلسَّيِّد**

(**قالوا: فَهَلْ فِعْلُ القَبِيحِ مُرَادُه؟**) =هل فعل القبيح مراد لله عز وجل؟ فردّ عليه قال: الإرادة كلها للسيد، أي لله سبحانه، هنا المراد بها الإرادة الكونية؛ لأنه لا يقع في خلق الله إلا ما أراد الله عز وجل، وهذه تشبه وتتصل بمسألة خلق أفعال العباد.=

فانتقل الناظم رحمه الله هنا إلى مسألة أخرى متصِلَةٍ بالمسألة السابقةِ، مسألة (أفعال العباد).

فقال رحمه الله: (**قالوا: فَهَلْ فِعْلُ القَبِيحِ مُرَادُه؟**) يعني: أنَّ أفعال العباد منها الحسن ومنها القبيح، ومنها الطاعات والأعمال الصالحات، ومنها الكفر والفسوق والعصيان، فهل إذا قلتَ: إنَّ أفعال العباد كلَّها مخلوقةٌ لله عز وجل هل معنى هذا أنَّ الله يريد الكفر من الكافر والمعصية من العاصي؟

فالمعتزلة القائلون بأن أفعال العباد غير مخلوقة لله يوردون هذا الإيراد على مَن خالفهم بأنَّه يلزم من القول بأنَّ أفعال العبادِ مخلوقةٌ لله؛ أنَّ يكون اللهُ مريداً للقبيح، فاعلاً له، فإنَّ أفعال العِبَادِ فيها الحَسَن والقبيح، والخير والشر.

فالناظم رحمه الله يجيب عن هذا الإيراد بقوله: (**قُلتُ: الإرَادَةُ كُلُّهَا لِلسَّيِّدِ**) أي: الإرَادَةُ كلُّها لله عز وجلّ، **فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن**، ولا يكون في مُلْكِهِ ما لا يريد، **فالكفر والمعاصي** الواقعةُ في الوجودِ هي واقعةٌ بمشيئةِ الله =سبحانه وتعالى= وحكمَتِهِ، وبإرادَتِهِ الكونيَّة؛ =لأن هناك إرادة شرعية، وهي ما أراده سبحانه من العباد شرعا؛ كالإيمان وعمل الصالحات، وهناك أمور وأعمال لم يردها شرعا، كالمعاصي والذنوب والقبائح، لكنه أرادها كونا ليبتلي العباد.=

فالخير والشر كلُّه بمشيئة الله وبإرادته الكونية، خلافاً **للمعتزلة** الذين يقولون: إن أفعال العباد غير مرادة لله، ويعترضون بأن ذلك يستلزم أن يكون الله مريداً للقبيح من أفعال العباد، =لكنها إرادة كونية، وليست إرادة شرعية، فلا يكون في ملكه إلا ما أراد.=

لا يكون في الكون إلا ما أراد

قال الناظم رحمه الله تعالى:

٢٩- لَو لم يُرِدْهُ وَكَانَ كَانَ نَقِيصَةً * سُبْحَانَه عَنْ أَنْ يُعَجِّزَهُ الرَّدِي**

-في الحاشية: ورد البيت في بعض النسخ هكذا:

لَو لم يُرِدْهُ لكَانَ ذَاكَ نَقِيصَةً ..- سُبْحَانَه عَنْ أَنْ يُعَجَّزَ في الرَّدِي-

قوله رحمه الله: (**لَو لم يُرِدْهُ وَكَانَ ...**) هذا تتِمَّةٌ للجواب السابق، =في الكلام عن الإرادة،= وكأنَّه يُبَرْهِنُ على جوابِه السابق فيذكر دليلاً عقليًّاً على أنَّ إرادةَ الله ومشيئتَه شاملةٌ لكلِّ ما في الوجود، فكلُّ ما في الوجود فهو بمشيئتِه سبحانه، فلا يكون إلا ما يريد، ولا يكون في السماوات والأرض من حركةٍ ولا سكونٍ إلا بمشيئتِه سبحانه وإرادتِه =الكونية=، فالإرادة كلُّها للسيِّدِ.

فقوله: (**لَو لم يُرِدْهُ وَكَانَ**) =فالله ما أراد الكفر شرعا، وأراده كونا، فكان.

لكن لو ما أراده كونا وكان، (**كَانَ نَقِيصَةً**) هذا نقيصة، وفيه تعجيز لله سبحانه وتعالى،= أي: إنَّ الله عز وجل لو لم يُرِد ما يَقَعُ في الوجود من القبائح من كفرٍ ومعاصٍ ونحوِ ذلك، ثم كانت ووُجِدَتْ لكان ذلك نقصاً في قدرته سبحانه، إذ كيف يقع في ملكه شيئاً لم يُرِدْه =كونا=؟ وكيف يقع شيءٌ بخلاف مرادِهِ سبحانَه؟

فالقول بهذا يلزم منه تَنَقُّصُ الرَّبِّ وتَعْجِيزُه، **فمضمون قولِ القَدَرِيَّة**؛ أنَّ الكافرَ شاءَ الكفرَ، وأنَّ العاصي شاء المعصية، والله تعالى شاء منهما الإيمان والطاعة، فوقع مرادُهما دون مرادِ الله عز وجل، وهذا مذهبٌ باطلٌ شرعاً وعقلاً؛ لأنَّه يتضمن تعجيز الرَّبِّ =سبحانه وتعالى=، وأنَّه يكونُ في ملكِه ما لا يريد، والله عز وجل قد أكذبهم في غير ما آيةٍ من كتابِه الكريم، من ذلك قوله تعالى:

{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ البَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ}. (البقرة: ٢٥٣)

=إذن كفرهم واقتتالهم وما شابه ذلك بإرادة الله الكونية، وبمشيئته سبحانه وتعالى= وقال تعالى: **{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ}**. (الأنعام: ١١٢)، وقال عز وجل: **{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الأرض كُلُّهُمْ جَمِيعًا}**. (يونس: ٩٩)، وقال سبحانه: **{وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا}**. (السجدة: ١٣)، =والآيات في هذا كثيرة.=

وقد وَرَدَ أنَّ القاضي عبد الجبار الهمذاني المعتزلي –قال: (**سبحان من تَنَزَّه عن الفحشاء**)، يعني أن السرقة والزنا ليسا بمشيئة الله؛ لأنَّه في زعمه أَنْزَهُ من أن تكون هذه الرذائل بمشيئته، فقال أبو إسحاق:

(**كلمةُ حقٍّ أُرِيدَ بها باطلٌ**)، ثم قال: (**سبحان مَن لم يَقَع في مُلْكِهِ إلا ما يشاء**)، فقال عبد الجبار: (**أَتُرَاهُ يشاؤُهُ ويعاقبني عليه؟!**) =يشاء الكفر والمعصية ويعذبني على ذلك= فقال أبو إسحاق: (**أتُرَاك تفعله جَبْرَاً عليه، أأنت الرَبُّ وهو العبدُ؟**) فقال عبد الجبار: (**أرأيتَ إن دعاني إلى الهدى وقضى عليَّ بالرَّدَى، دعاني وسدَّ الباب دوني، أتراه أحسن أم أساء؟**) =هذا كلام المعتزلي.=

فقال أبو إسحاق: (**أرى أنَّ هذا الذي منعك؛ إن كان حقَّاً واجباً لك عليه، فقد ظلمك وقد أساء، سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، وإن كان ملكُه المحضُ فإن أعطاك ففضلٌ، وإن منعك فعدلٌ**)- فبُهِتَ عبدُ الجبَّار، وقال الحاضرون: والله ما لهذا جوابٌ]. ينظر: (تفسير الرازي) (٢١/ ٦٠)، و (طبقات الشافعية الكبرى)، للسبكي (٤/ ٢٦١)، وهذا نصُّها كما أوردها العلاَّمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في كتابه (أضواء البيان) (٧/ ٩٧).-

فأشار الناظم رحمه الله في هذا البيت إلى البرهان العقليّ؛ على أنَّ أفعال العباد مخلوقةٌ لله عز وجل، وواقعةٌ بإرادتِه، أفعالهم كلُّها، طاعاتُهم ومعاصيهم، وإيمانُهم، وكفرُهم، كلُّ ذلك واقعٌ بمشيئةِ الله وقدرتِهِ وتدبيرِهِ الحكيم فله الحكمة البالغة في كل ما يُقَدِّرُه ويَقْضِيهِ.

وقوله: (**سُبْحَانَه عَنْ أَنْ يُعَجِّزَهُ الرَّدِي**) لعله يريد بـ (**الرَّدِي**) الكافر مثَلاً؛ لأن مقتضى كلام المعتزلة -كما تقدم- أنَّ الله شاء من الكافر الإيمان، وشاء هو الكفر، فَغَلَبَت مشيئةُ الكافرِ مشيئةَ الله، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، بل الله تعالى يضلُّ مَن يشاء ويهدي مَن يشاء، {**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا* فَالهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**}. (الشمس: ٧ – ٨)

وينبغي أن يُعلَم أنَّ مشيئة اللهِ للكفرِ والمعاصي مع بغضه لها وكراهتها راجعٌ إلى حكمته البالغة، وهذا هو الجاري على مذهب أهل السنة، فإنهم يُثبِتُون عموم المشيئة، ويثبتون الأمر والنهي، وأنَّه تعالى إنما يأمر بما يُحِبُّ ويَرضى، وينهى عن كلِّ ما يُسْخِطُه ويُبْغِضُه، وأنَّه سبحانه حكيمٌ في شرعه وقَدَرِه.

وبهذا يَخْلُص مذهب أهل السنة عن كلِّ باطلٍ تضمنته مذاهب المخالفين لهم من الجبرية والمعتزلة والأشاعرة.

فما هو الإيمان؟

قال الناظم رحمه الله تعالى:

٣٠- قالوا: فَمَا الإيمان؟ قُلتُ مُجَاوِبَاً: * عَمَلٌ وَتَصْدِيقٌ بِغَيرِ تَبَلُّدِ**

(**قالوا: فَمَا الإيمان؟ قُلتُ مُجَاوِبَاً:**) قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك حفظه الله تعالى: والآن إلى مسألة: (**الإيمان**)، **ومسألة** (**الإيمان**) من المسائل التي وقع فيها =خلاف و= اختلاف بين الناس، وافترقت فيها الأمَّةُ على مذاهب متعدِّدةٍ.

فالجهميَّة يقولون: الإيمان هو **المعرفة**.

والأشاعرة يقولون: هو **التصديق**.

والمرجئة يقولون: هو **التصديق** بالقلب **والإقرار** باللسان.

والكَرَّامِيَّة يقولون: هو **الإقرار باللِّسان** فحسب، من غير اعتبارٍ لتصديقِ القلب، =عندهم المنافقون مؤمنون؛ لأنهم بألسنتهم يقولون: لا إله إلا الله.=

وأهل السنة والجماعة يقولون: هو **قولٌ وعملٌ**، =شهادة اللسان وشهادة القلب= وبتعبيرٍ آخر: هو اعتقادٌ بالجَنَان، وإقرارٌ باللِّسان، وعملٌ بالأركان.

فقوله: (**قالوا: فَمَا الإيمان؟**) يعني ما مُسَمَّى الإيمان عندك؟ =يا أبا الخطاب.

فأجاب جوابا مطابقا لمعتقد أهل السنة والجماعة،= فقال: (**عَمَلٌ وَتَصْدِيقٌ**) يعني أنَّ الإيمان عملٌ وتصديقٌ.

وجواب الناظم هنا مطابقٌ لمعتقد أهل السنة والجماعة، يعني: أنَّه عملٌ بالجوارح، ومنها اللِّسان، وتصديقٌ بالجَنَان، فهو قولٌ وعملٌ، وهذا من أحسنِ ما وَرَدَ في هذه المنظومةِ وأوضحِه، =يعني ما فيه

لبس في اعتقاد هذا الرجل الكلوذاني رحمه الله، فهل في ذلك إشكال حتى نبحث في كتبه ماذا قال؟ لا هو هنا أوضح الأمر تماما.=

وقوله: (**بِغَيرِ تَبَلُّدِ**) يعني: بغير تَحَيُّرٍ ولا تَرَدُّدٍ ولا شكٍّ، =ولا ريب، قول وعمل بلا شك.

ثم انتقل بعد هذا الكلام إلى أمر مختَلف فيه؛ وهم الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ولاحِظُوا أن الاختلاف في أسماء الله وصفاته، والاختلافَ في الصحابة وفي القرآن أنه كلام الله مخلوق أو غير مخلوق.

لكن ما أحدٌ اختلف على النبي محمد أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وما اختلف أحد أنه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، **وما اختلف أحد** أن أمّه آمنة بن وهب، **وما اختلف** أحد في محمد أنه بشر، **وأنه** إنسان، **وأنه** عاش في مكة وولد فيها، **ثم انتقل** إلى المدينة وتوفي فيها، لا رافضة ولا شيعة، ولا أي طائفة من طوائف المسلمين أنكرت ذلك.

هذا أمر متفق عليه بين الأمة من أولها إلى آخرها، الموافق والمخالف في أسماء الله وصفاته، وفي كلام الله وفي القرآن، والصحابة كلهم اتفقوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيا ليتهم يتفقوا على كلامه، كلامه الذي هو الفيصل إن شاء الله، وفيه الحلُّ لجميع المشاكل التي عرضت وسبق أن تكلمنا فيها، والتي ستأتي في الكلام عن الصحابة، فقد اختلفت طوائف من الأمة في الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

تقديم أبي بكر رضي الله عنه

قال الناظم رحمه الله تعالى:

٣١- قالوا: فَمَنْ بَعْدَ النَّبِيِّ خَلِيفَةٌ؟ ... قُلتُ: المُوَحِّدُ قَبْلِ كُلِّ مُوَحِّد

(**قالوا: فَمَنْ بَعْدَ النَّبِيِّ خَلِيفَةٌ؟**) بعد أن فرغ الناظمُ رحمه الله من ذكر بعض المسائل المتعلِّقة بصفات الله عز وجل، وذكر ما يتعلق بالقدر والإيمان، انتقل في هذه الأبيات إلى ما يتعلق بالصحابة الكرام رضي الله عنهم.

وهذه القضايا التي عرض لها الناظمُ رحمه الله، وهي: **(الصفات)، و (القدر)، و (الإيمان)، و (الصحابة)** تُعَدُّ من أهمِّ القضايا التي وقع فيها النِّزَاع =بين طوائف المسلمين=، وافترقت فيها الأمَّةُ فِرَقاً متعدِّدة.

وأصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم انقسم النَّاسُ فيهم، وافترقت فيهم الأمَّةُ فرقاً، =في الصحابة رضي الله تعالى عنهم.=

فالرَّافضةُ يبغضون جمهور الصحابة، =وأغلب الصحابة= ويطعنون فيهم ويسبونهم، ومنهم من يكفرهم كلَّهم إلا نفراً قليلاً منهم، =يعني يكفر الصحابة بالجملة إلا أنفارا معدودين= مثل: سلمان الفارسي =رضي الله تعالى عنه=، وعمار بن ياسر، وأبي ذر الغفاري رضي الله عنهم، =وأوصلوهم إلى اثني عشر صحابيا وكفروا باقيهم= وكذلك من يغلون فيهم من أهل البيت.

=وهنا مسألة قلتها أنا؛ أبو المنذر فؤاد غفر له رب العباد:

أهل السنة يقولون بكفر بضعة عشر منافقا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، اثنا عشر أو أقل أو أكثر من المنافقين، **أما الرافضة** فيكفرون الصحابة ويستثنون بضعة عشر منهم**!!**

رأيتم! أهل السنة يقولون: إن كلّ الصحابة مسلمين مؤمنين، وكان يعيش بينهم بضعة عشر منافقا، يعرفهم بأسمائهم حذيفة رضي الله تعالى عنه صاحب سرِّ رسول الله، **فالرافضة** يقولون عنهم كلِّهم كفار، نسأل الله السلامة؛ إلا بضعة عشر رجلا قال الإمام الطحاوي في (شرح الطحاوية) ط دار السلام (ص: ٤٨٨):

[**وَالرَّافِضَةُ** يَتَبَرَّءُونَ مِنْ جُمْهُورِ هَؤُلَاءِ، بَلْ يَتَبَرَّءُونَ مِنْ سَائِرِ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، إِلَّا مِنْ نَفَرٍ قَلِيلٍ، نَحْوَ بِضْعَةَ عَشَرَ نَفَرًا!!].

وبعضهم قال: إن من الصحابة أربعةً فقط مؤمنون، لكنّ أكثر الرافضة وغالبَهم الذين كفروا الصحابة استثنوا فقط اثنا عشر نفرا منهم، وكفروا الباقي.=

ويقابلهم **الخوارج** وخصوصاً في موقفهم من أهل البيت، وبالأخصّ في علي رضي الله عنه فإنهم يكفرونه، =ويسمَّون النواصبَ أو الناصبة، يناصبون عليًّا رضي الله تعالى عنه العداء.

أهل السنة وسط، لا يغلون نفي الصحابة، بل يحكمون عليهم بالإيمان والتوحيد والرفقة، ولا يكفرونهم، ولكن لا يعتقدون فيهم العصمة، وكلُّهم بشر، يخطئون ويصيبون.=

ومن مذهب الرافضة الباطل؛ طعنهم في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، وطعنهم في خلافتهم، =أي خلافة الخلفاء الأربعة.=

فالرافضة منهم من يكفر الشيخين **ويكفر** جمهور الصحابة، **ومنهم** من يسب أبا بكر وعمر ويصفهما وسائر الصحابة بالظلم، وأنهم ظلموا علياً رضي الله عنه واغتصبوا حقه. (٢٤)

وأما **أهل السنة والجماعة** فهم بين هؤلاء وهؤلاء، =جعلنا الله تعالى أمة وسطا كما قال: **{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا}**. (البقرة: ١٤٣)،= فهم وسط بين الرافضة =لا يغلون في الصحابة=، والخوارج النَّواصب =وهو الإجحاف بحقهم وعدم الإنصاف، وتكذيبهم الذين يناصبونهم العداء= الذين ينصِبُون العَدَاوة لأهل البيت.

فالناظمُ رحمه الله يريد أن يبين في هذه الأبيات مذهب أهل السنة والجماعة في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخصوصاً الخلفاء الراشدين.

فقال رحمه الله: (**قالوا: فَمَنْ بَعْدَ النَّبِيِّ خَلِيفَةٌ؟**) يعني من هو المستحق للخلافة بعد النبيِّ صلى الله عليه وسلم؟ =وهذا سؤال يحتاج إلى جواب واضح.=

---

(٢٤) =والأعجب من هذا فرقة تسمى (الكميلية)، وهي فرقة من الرافضة، وربما الرافضة يكفرون الكميلية، وأما= [قول الكميلية من الرافضة –وهم أتباع رجل من الرافضة كان يعرف بأبي كامل =لكن تصغيرا لشأنه قالوا: كميلية= يقول–: بتكفير جميع الأمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم؛ إذ لم تقدم علياً =رضي الله عنه وهذا الترضي مني لأنهم لا يقولونها=، وكفّرت عليًّا؛ إذ لم يتقدم ويطلب حقه في التقديم،..]. الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد لابن العطار (المتوفى: ٧٢٤هـ) (ص: ٣٧٨)، وانظر الحاشية. =أقول: تلك أمة كلما دخلت في النار لعنت أختها، وهؤلاء الفرق كل أمة تلعن أختها، نسأل الله السلامة.=

فأجاب رحمه الله بقوله: (**قُلتُ: المُوَحِّدُ قَبْلِ كُلِّ مُوَحِّدِ**)، =إذا الجواب كلُّ موحِّد، الذي وحّد الله وشهد أن لا إله إلا الله، هذا هو الأولى بالخلافة، أما كلنا موحدون، والصحابة موحدون، لذلك قال: قبل كل موحد، ومعناها أول من أسلم من الرجال رضي الله تعالى عنه= ويعني به خليفةَ رسولِ الله أبا بكر الصديق رضي الله =تعالى= عنه.

وفي هذا الجواب إشارةٌ إلى سَبْقِ أبي بكرٍ رضي الله عنه إلى الإسلام، وأنَّه أولَ مَنْ آمن بالرَّسول صلى الله عليه وسلم، وأول مَن دخل في الإسلام –قيل: من الرجال.–

فهو رضي الله عنه الخليفةُ بحقٍّ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأما **الرَّافضةُ** فيقولون: هو الخليفةُ بعد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم لكن بغير حقٍّ، =فهمت الجواب هذا، وليس كل الرافضة يقولون هذا الكلام بعضهم=، وهو ظالم مغتَصِبٌ هو ومَن بايعه، فالأحق بالخلافةِ –عندهم– هو عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله =تعالى= عنه، وكلُّ مَن وليَ الخلافةَ قبلَهُ فهو معتَدٍ وظالمٌ، فهذه هي عقيدةُ الرَّوافض في خلافةِ الخلفاءِ الثلاثة رضي الله عنهم.

وأما **أهل السُّنَّة** فعندهم؛ أن أبا بكر =رضي الله تعالى عنه= هو الخليفةُ بحقٍّ بعد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فهو أحقُّ النَّاس بالخلافةِ، وولايةِ الأمرِ بعد الرَّسول صلى الله عليه وسلم.

واختلف أهل السنة في خلافة أبي بكرٍ رضي الله عنه؛ هل ثبتت بالنصِّ الجلي، =النص الواضح=، أم بالنصِّ الخفي والإشارة، أم بالاختيار؟

=هنا في اختلاف بين أهل السنة متفقون على الخلافة لكن بما ثبتت؟=

فذهب شيخُ الإسلام ابن تيمية =رحمة الله تعالى عليه= إلى أنها ثبتت حُكماً **بالنص** على أبي بكرٍ، لكن قد يكون ذلك بالنص الجليّ، أو بالنص الخفيّ والإشارة، وثبتت فعلاً =وعملا= **بالاختيار**، وذلك بمبايعة الصحابة من المهاجرين والأنصار لأبي بكرٍ =فعلا= في سقيفةِ بني سَاعِدَة، فصارَ خليفةً فعلاً

بمبايعة الصحابة له، =والمبايعة عملا بالحديث: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**». ([٢٥]) فارتضاه لدينهم ألا يرتضيه لدنياهم.

الثناء على أبي بكر رضي الله عنه

قال الناظمُ رحمه الله تعالى:

٣٢- حَامِيهِ فِي يَومِ العَرِيشِ وَمَنْ لَهُ * فِي الغَارِ أَسْعَدَ يَا لَهُ مِنَ مُسْعِد**

(**حَامِيهِ فِي يَومِ العَرِيشِ وَمَنْ لَهُ**)، في البيت السابق أشار الناظمُ رحمه الله إلى سَبْقِ أبي بكرٍ رضي الله عنه إلى الدخول في الإسلام، وذلك بقوله: (**المُوَحِّدُ قَبْلِ كُلِّ مُوَحِّدِ**).

وفي هذا البيت ذكر له مناقب أخرى، فقال: (**حَامِيهِ فِي يَومِ العَرِيشِ**)، ويريد بـ (العريش) ما حصل في غزوة بدر، حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم في عريشٍ له يدعو ربه، ويناشده ويستغيث به، وأبو بكرٍ عند ظهره ويحميه، ولما رأى شدة إلحاح النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه قال =أبو بكر رضي الله عنه=: (**يا نبيَّ الله كَفَاك مُنَاشَدَتُكَ ربَّكَ، فإنه سَيُنْجِزُ لك ما وَعَدَكَ**). ([٢٦])، فأنزل الله عز وجل: **{إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِألفٍ مِنَ المَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ}**. (الأنفال: ٩) فَأَمَدَّهُ الله بِالمَلائِكَةِ.

فهذا ما يشير إليه الناظم بقوله: (**حَامِيهِ فِي يَومِ العَرِيشِ**)، =كان يرفع عليه رداءه، وكان يسليه ويقدم أي شيء يسلّي النبي صلى الله عليه وسلم.=

ثم ذكر الناظمُ رحمه الله منقبةً ثالثةً لأبي بكرٍ رضي الله عنه، فقال: (**وَمَنْ لَهُ**) يعني والذي له (**فِي الغَارِ أَسْعَدَ**) يعني في غارِ ثَوْرٍ، وهذا فيه إشارةٌ إلى ما حصل في قصَّةِ خروجِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم وأبي بكرٍ من أجل الهجرةِ إلى المدينةِ،... وما جعل الله سبحانه من الأسباب ما يصرف أنظار المشركين وعقولهم عنهما.

([٢٥]) (خ) (٦٦٤)، (م) ٩٤- (٤١٨).
([٢٦]) (م) ٥٨- (١٧٦٣).

وقد أشار الله عز وجل إلى هذا النصر =وصرف عقولهم وأبصارهم=، بقوله تعالى: **{إلا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ}** =وصاحبه هو أبو بكر= **{لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}**. (التوبة: ٤٠)

فأبو بكر رضي الله عنه أَسْعَدَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم أَيَّمَا إسعادٍ، فقد أَسْعَدَهُ بصحبَتِهِ ومرافقَتِهِ وحمايتِهِ له، حتى إنَّه قد جاء في أخبار الهجرة أنَّ أبا بكر رضي الله عنه كان يمشي مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فتارةً يكون أمامه، وتارةً يكون خلفه، وتارةً عن يمينه، وتارةً عن يساره، فلما سأله النبيُّ صلى الله عليه وسلم عن سببِ ذلك، =عندما رأى منه هذه الحركات= قال: إني أذكر العَدُوَّ من الرَّصَد ([٢٧]) =والرصد هو الكمين، فيخشى أن يكون هناك كمين فيقع فيه النبي صلى الله عليه وسلم= فأكونُ أمامَك، **وأذكر العَدُوَّ** من الطَّلَب فأكونُ خلفك، وأخشى أن تُؤتَى من يمينك أو من شمالك، فهو يدور على النبي صلى الله عليه وسلم من أجل حمايته.

وقوله: **(يَا لَهُ مِنَ مُسْعِدِ)** هذا فيه أسلوب مدحٍ، =يمدح فيه الكلوذاني أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه= يعني أنه هو المُسْعِدُ الصادِقُ في صحبته وفي حمايته، بل وفي إيمانه قبل ذلك رضي الله =تعالى= عنه وأرضاه.

عمر بعد أبي بكر رضي الله عنهما

قال الناظم رحمه الله تعالى:

٣٣- قالوا: فَمْن ثَانِيْ أَبِي بَكْرِ الرِّضَا؟ ... قُلتُ: الإمَارَةُ في الإمَامِ الأَزْهَد

(قالوا: فَمْن ثَانِيْ أَبِي بَكْرِ الرِّضَا؟) =قالوا: فمن ثاني أي من يأتي بعد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فمن هو الثاني؟ الرضا أي الذي رضي عنه الناس.=

([٢٧]) يقال: فُلانٌ يَخافُ رَصَداً من قُدَّامِهِ، وطَلَباً من وَرائِهِ، يعني: عَدُوًّا يَرْصُدُهُ ويَرْقُبُهُ.

قال الناظمُ رحمه الله: (**قالوا: فَمْن ثَانِيْ أَبِي بَكْرِ الرِّضَا؟**) ووقع عند ابن الجوزي في (المنتظم): (**قالوا: فَمَنْ تَالي أَبِي بَكْرِ الرِّضَا؟**) يعني: مَنْ التالي لأبي بكر في الخلافة؟ أو مَنْ الثاني بعده في الخلافة؟

وقوله: (**قُلتُ: الإمَارَةُ في الإمَامِ الأَزْهَدِ**) =وصف عمرَ رضي الله تعالى عنه بأنه أميرٌ؛ لأنه أول من أُطلق عليه أمير المؤمنين، وإمام أيضا في الزهد، فهو= يريد به الخليفةَ الرَّاشدَ، الإمامَ الزَّاهِدَ؛ عمرَ بنَ الخطَّاب رضي الله عنه.

فهو الخليفة الثاني بعد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وهو التالي له في الفضل وفي الخلافة، وقد وَلِيَ رضي الله عنه أَمْرَ المسلمين **=هل وَلِيَهُم بالشورى؟ أو بالنص؟ أو باختيار الخليفة الأول؟** باختيار و= بعهدٍ من الخليفة الأول، والنَّاصِحِ لهذه الأمَّةُ؛ أبي بكرٍ رضي الله عنه.

وأجمع الصحابة عليه ولم يختلفوا، =فلاحِظ أنه= فلم يُنَازَع رضي الله عنه في أمرِ الخلافة، ولم يُخْتَلَف عليه البتة، ولا أنَّه عُمِل له بيعة، بل اكتُفِيَ بمجرَّد العهد.

ولا يُعلم أنه قد ورد في التاريخ أنَّ النَّاس جاءوا ليبايعوه، بل انتقل إليه الأمر بهذا العهد، واكتفى المسلمون به، =فكان رضاً تامًّا، رضاً فعليًّا ورضا قلبيّا، ... الأمر انتهى بكل سهولة وسلاسة.=

الثناء على الفاروق رضي الله عنه

قال الناظم رحمه الله تعالى:

٣٤- فَارُوقُ أَحْمَدَ وَالمُهَذَّبُ بَعْدَهُ ** سَنَدُ الشَّرِيْعَةِ بِاللِّسَانِ وَبِاليَد

(**فَارُوقُ أَحْمَدَ وَالمُهَذَّبُ بَعْدَهُ**) -في الحاشية: وقع في بعض النسخ =بدل كلمة سند، قال=: (**نَصَرَ الشَّرِيعَةَ بِاللِّسَانِ وَبِاليَد**).

في هذا البيت أثنى الناظمُ رحمه الله على ثاني الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ونَعَتَه بعدَّةِ أوصافٍ سَرَدَهَا في هذا البيت، فقال: (**فَارُوقُ أَحْمَدَ**) هذا أشهر لَقبٍ لُقِّبَ به عمرُ رضي الله عنه، حتى قيل له: (**عمر الفاروق**).

وسببُ تلقِيبِه بذلك؛ ما ذكره بعضُهم من أنَّه حَصَلَ بإسلامه الفرق بين الحق والباطل، =كانت الدعوة سرًّا، وبعد أن أسلم صارت علنا=؛ فبإسلامه كان للحقِّ ظهور، حيث كان المسلمون بمكّة في أول أمرهم يستخفون ويخافون، **فلما أسلمَ عمرُ؛ وكان معروفاً بقوَّتِهِ** =وشجاعته= وشدَّتِهِ، طلبَ من الرسول صلى الله عليه وسلم أن لا يستخفوا وأن يخرجوا، =وأن تكون الدعوة علنًا بحماية عمر رضي الله تعالى عنه=، فخرج الرسولُ صلى الله عليه وسلم ومَن معه من الدَّارِ، =وهي دار الأرقم= التي كانوا مستخفِينَ فيها، خرجوا في صفين، أحدهما فيه عمر رضي الله عنه، و =الصف= الثاني فيه حمزةُ عمُّ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فأعزَّ اللهُ بإسلامِهِ هذا الدِّين، فهذا هو السرُّ في تلقيبه بهذا اللقب.

وقول الناظم: (**فَارُوقُ أَحْمَدَ**) (أحمد) هو اسمٌ من أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد ورد هذا الاسم فيما أخبر الله به عن عبده ورسوله عيسى بنَ مريمَ عليه السلام بقوله: **{وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ}**. (الصف: ٦)، وإضافة هذا اللقب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم (**فَارُوقُ أَحْمَدَ**) من باب التشريف والتكريم.

وقوله: (**وَالمُهَذَّبُ بَعْدَهُ**) أي: مهذّب الأخلاق، فهو ذو الأخلاق الكريمة العالية، =وهو= المنزه عن سفاسفها، =أي عن الأخلاق الرذيلة.=

ولو قال الناظم: (**فَارُوقُ أَحمَدَ والمُحَدَّثُ بَعْدَهُ**) =وهذه صفة أخرى،= لكان أولى؛ =ولوافق الحديث، فلعلها غابت عنه، فاروق أحمد والمهذب بعده=؛ **لأنَّ هذا** الوصف قد جاء على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك في قوله: "**لقد كان في الأمَمِ قبلَكُم مُحَدَّثُون، وإن يكن في أُمَّتِي مِنْهُم أحدٌ فَعُمَر**" =رضي الله عنه. والحديث= متفقٌ عليه، **فهو** يُعرَفُ عند أهل العلم بـ (المُحَدَّث) يعني: المُلْهَم، =أي أن الله هو يلهمه بالفقه والحكمة.=

ومن آثار تحديثه وإلهامه أنَّه وافق ربَّه في أحكامٍ عَدِيدَةٍ، فاقترح **الصلاة** خلف المقام، =وقال الله: **{وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى}**. (البقرة: ١٢٥)، وهذا قبل أن تنزل الآية، ونزلت الآية فهو وافق ربه.=

وعارض النبيَّ صلى الله عليه وسلم لَمَّا أراد -باجتهادٍ منه- أن **يصلي** على رأس المنافقين عبدِالله بنِ أُبَيٍ ابنِ سَلُول، =كيف تصلي عليهم يا رسول الله؟=

فأنزل الله: **{وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ}**. (التوبة: ٨٤) إلى غيرِ ذلكَ من موافقاته رضي الله عنه، =والعلماء اجتهدوا في غيرها.=

-في الحاشية: جمع السيوطي (ت ٩١١هـ) موافقات عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ونظمها في منظومةٍ رجزيةٍ مختصرةٍ بلغت (١٩) تسعة عشر بيتاً، =جمعها رحمه الله، ومنها ما هو صحيح الإسناد، ومنها الضعيف= وسماها: (قطف الثمر في موافقات عمر)، وهي مطبوعة ضمن كتابه: (الحاوي للفتاوي) (٢/ ٥)، **ولهذه المنظومة -مما وقفتُ عليه- شرحان مطبوعان:**

الأول: (الدر المستطاب) لمفتي دمشق حامد بن علي بن إبراهيم العمادي الدمشقي الحنفي (ت ١١٧١هـ)، وزاد على ما ذكره السيوطي من موافقاتٍ، ونظم زوائده وشرحها في أثناء الكتاب، ثم ختم الشرح بذكر موافقات أبي بكرٍ الصديق وعلي بن أبي طالبٍ رضي الله عنهما.

والثاني: (فيض الوهاب) لعلاَّمَةِ الشَّامِ في زمانه الشيخ محمد بدر الدين الحَسَني (ت ١٣٥٤هـ).-

وقوله: **(سَنَدُ الشَّرِيْعَةِ بِاللِّسَانِ وَبِاليَدِ)** أي: حامي الشريعةِ، والمدافعُ عنها، والناصرُ لها، ومما يدل على ذلك كثرة الفتوح الإسلامية في عهده، =وهي أكثر من غيره من الصحابة رضي الله تعالى عنهم= وانتشار الإسلام في الأمصار، فكان رضي الله عنه عظيم الهَمّ في نشر الإسلام، وتجهيز الجيوش لأجل ذلك، حتى إنَّه قد جاء عنه أنَّه كان يجهزُ الجيوش وهو في الصلاة، =كيف يصلي ويجهز كيف يفعل وكيف يأمر يمينا شمالا، يقتحموا بلاد كذا، تراجعوا عن كذا= يجهزها بفكره وعقله، ففكره وعقله مشحونٌ بهموم المسلمين وعزِّ الإسلام وأهله، ولعل هذا مما يُبَيِّنُ قول الناظم: **(سَنَدُ الشَّرِيْعَةِ بِاللِّسَانِ وَبِاليَدِ)**.

–(قوله: **يجهزُ الجيوش...**). أخرجه ابن أبي شيبة في (المصنَّف) (٢/ ١٨٦ رقم: ٩٧٥١) بإسنادٍ صحيحٍ، وأخرجه البخاريُّ تعليقاً مجزوماً به، في (صحيحه) (١/ ٤٠٨) كتاب الصلاة: بَاب يُفْكِرُ الرَّجُلُ الشَّيْءَ في الصَّلَاةِ– ينظر: (فتح الباري) (٣/ ٩٠)، و (تغليق التعليق) (٢/ ٤٤٨).

وأخرج ابن أبي شيبة أيضاً (رقم ٧٩٥٠)، وابن حزم في (المحلى) (٣/ ٩٩) من طريق عروة بن الزبير عن عُمَرَ رضي الله عنه قال: (**إِنِّي لَأَحْسِبُ جِزْيَةَ البَحْرَيْنِ وأنا في الصَّلَاة**)، وإسناده صحيحٌ أيضاً.–

ثالثهم ذو النورين رضي الله عنه

قال الناظمُ رحمه الله تعالى:

٣٥– قالوا: فَثَالثُهُمْ؟ فقُلتُ مُجَاوِبَاً: * مَنْ بَايَعَ المُخْتَارُ عَنْهُ بِاليَد**

(**قالوا: فَثَالثُهُمْ؟ فقُلتُ مُجَاوِبَاً**) =وفي نسخة أخرى: مسارعا=

انتقل الناظمُ رحمه الله في هذا البيت إلى الإشادةِ بثالثِ الخلفاءِ الرَّاشدين؛ عثمانَ بنِ عفان رضي الله عنه، والثناء عليه، فقال: (**قالوا: فَثَالثُهُمْ؟**) أي: مَنْ ثالث الخلفاء الراشدين =على الترتيب؟ أبو بكر وعمر وعثمان ذو النورين.=

فأجاب بقوله: (**فقُلتُ مُجَاوِبَاً: مَنْ بَايَعَ المُخْتَارُ عَنْهُ بِاليَدِ**)؛ (**المختار**) هو الرسول صلى الله عليه وسلم.

والناظمُ رحمه الله يشيرُ بهذا إلى ما وقع في (**بيعة الرِّضْوَان**) عام صلح الحُدَيْبِيَة، يوم أرسل النبيُّ صلى الله عليه وسلم =في هذا العام وهو حول الكعبة ومنعوا من العمرة بايع، فبعث= عثمانَ بنَ عفَّان رضي الله عنه إلى أهل مكة يخبرهم بمقصودهم، وأنهم ما جاءوا لحربٍ وقِتَال، وإنما جاءوا معتَمِرين قاصدين بيتَ الله، فبلغ النبيَّ صلى الله عليه وسلم أنَّ عثمانَ رضي الله عنه قد قُتِلَ، =بينما كان عثمان معزَّزاً مكرَّمًا، وما استطاع أحد أن يعتديَ عليه أو يتكلم في حقه، لكن الصحابة لا يعلمون ما جرى لعثمان رضي الله عنه=، فطلبَ الرسولُ صلى الله عليه وسلم من أصحابِه رضي الله عنهم أن يبايعوه على الموت،

أو على ألا يفرّوا، على اختلاف الروايات في ذلك، فبعضهم يقول: **(بايعنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على الموت)**. متفق عليه، أي: على القتال حتى الموت، وبعضهم يقول: **(بايعناه على ألّا نَفِرَّ)**. (م) (١٨٥٦)

=يعني نبقى حتى نأخذ حقنا أو نموت= فبايعه الصحابةُ رضي الله عنهم، وتنافسوا في هذه البيعة، حتى إنَّ منهم من يُبَايِع ويخرج ليُبَايِعَ مرةً أخرى، وهذه البيعة هي **(بيعة الرضوان)** التي أشار الله عزَّ وجَلَّ اليها بقولِهِ: **{لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا}**. (الفتح: ١٨)، فبايع الصحابةُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، ففي الصحيح: **(وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ، فَلَوْ كَانَ أَحَدٌ أَعَزَّ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ عُثْمَانَ لَبَعَثَهُ مَكَانَهُ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُثْمَانَ وَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ)**، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ اليُمْنَى: «**هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ**». فَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ، فَقَالَ: «**هَذِهِ لِعُثْمَانَ**». (خ) (٣٦٩٨)

وهذه والله فضيلة لعثمان وأيُّ فضيلة، أَنْ بايعَ الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم عنه بيدِهِ الكَرِيمَة.

ومما يُذْكَرُ هنا أنَّه قيلَ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم: **(لعلَّ عثمان قضى نَهْمَتَه من البيت)**، =أي قضى ما يريد= **(وطاف وقضى عمرته)**، فلما رجع عثمانُ قيل له في هذا، =أي أنك فعلت العمرة ونحن محاصرون، لكن الأدب فوق ذلك= فقال: **(ما كنتُ لأفعل هذا ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم مصدودٌ ومحبوسٌ عن البيت)**، فقال له النبيُّ صلى الله عليه وسلم: **(ذاك الظَّنُّ بِكَ)**، =أي أنك لا تفعلها= أو كما ورد في القصة. أخرج القصةَ مطوَّلةً الإمام أحمد في (المسند) (٤/ ٣٢٣ رقم: ١٨٩٣٠) بإسنادٍ صحيحٍ.

الثناء على ذي النورين رضي الله عنه

قال الناظم رحمه الله تعالى:

٣٦- صِهْرُ النَّبِيّ عَلَى ابْنَتَيْهِ وَمَنْ حَوَى * فَضْلَينِ فَضْلَ تِلاَوَةٍ وَتَهَجُّد**

(صِهْرُ النَّبِيّ عَلَى ابْنَتَيْهِ وَمَنْ حَوَى) =الصهر هو زوج البنت، فمن هما البنتان اللتان تزوجهما عثمان؟ رقية وأم كلثوم رضي الله عنهن ابنتا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكيف يجوز الجمع بين الأختين؟ إذا قُبِضَت أو طلقت إحداهما، وهذا عندما ماتت رقية رضي الله تعالى عنها، وبعض الأفهام قليلة، تحتاج إلى توضيح، ماتت إحداهما فزوجه النبي صلى الله عليه وسلم الثانية، فلما ماتت الثانية، قال له النبي صلى الله عليه وسلم لو عندي ثالثة لزوجتك، فصار ذا النورين.=

قوله: **(صِهْرُ النَّبِيّ عَلَى ابْنَتَيْهِ)** هذه من فضائل عثمان التي اشتهر بها، وهي أنه تزوَّجَ ابنتي رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، رُقَيَّةَ وأمَّ كُلْثُوم رضي الله عنهما، وقد ماتتا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم.

وقوله: **(وَمَنْ حَوَى فَضْلَينِ)** يعني: حاز فضلين، **(فَضْلَ تِلاَوَةٍ وَتَهَجُّدِ)** أي: فضل قراءة القرآن =وتلاوته=، وفضل قيام الليل.

فالناظم رحمه الله أثنى على عثمان رضي الله عنه بثلاثة أمور:

١- **بمبايعة** النبيِّ صلى الله عليه وسلم عنه بيدِه الشَّريفة.

٢- **وبمصاهَرَتِه** للنبيِّ صلى الله عليه وسلم وتزوُّجِهِ من ابنتَيهِ.

٣- وبما عُرِفَ عنه من **كثرة تلاوته** لكتاب الله عز وجل، وطول **تهجده** بالليل، وهذا مما اشتهر به رضي الله عنه.

وهؤلاء الثلاثة: -أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ- هم الخلفاءُ الرَّاشدون على التوالي.

وبيعةُ عثمانَ رضي الله عنه تمّت بعد مشاورات؛ =فماذا فعل عمر؟ لم يفعل عمر كما فعل أبو بكر أنه قال: أنت الخليفة، وعهد إليه بالخلافة من بعده.

لا يريد أن يتحمل تبعات المسئولية بعد ذلك، ولم يتركهم دون أن يكون له رأي في المسألة؛ لأنه سيكون اختلاف في الأمة،= لأنَّ عمرَ رضي الله عنه جعلَ الأمرَ في الستة الذين قال عنهم: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وهو عنهم راضٍ، وهم: عثمان وعلي، وطلحة والزبير، وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم.

=أما عبدُ الله بن عمر فأرادوا أن يدخلوه فرفض عمر، وقال: يكفي أن يكون من آل عمر واحد، ولكن ليس هذا تحقيرا له، ولكن استشيروه ويكون مستشارا للخليفة الذي سيأتي، فبعد مداولات= قام بها عبد الرحمن بن عوف مع هؤلاء الستة، =قال: تتركوا الأمر لي؟ قالوا: نتركه لك، الكلّ لا يريده، فلما قال ابن عوف: اتركوها لي؟ فوافقوا.

حسبوا أنه سيصبح خليفة، فجمع الخمسة، وبدأ يأخذ من كل واحد رأيا معينا=.

فمن قال: انتهى أمر المسلمين إلى مبايعة عثمان، فبايعه عبدُ الرحمن بنُ عوفٍ، والبقيَّةُ، ثم بايعه النَّاسُ بعدَ ذلك، فتَمَّ له الأمرُ حينئِذٍ. -قصة مبايعته رضي الله عنه أخرجها البخاريُّ.-

وهؤلاء الثلاثةُ أيضاً هم أفضلُ الصحابةِ =رضي الله تعالى عنهم وهم الخلفاء الراشدون=، جاء عن ابن عمر رضي الله عنه في (الصحيح) أنَّه قال: (كنَّا نقولُ ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم حيٌّ: أفضلُ هذه الأمَّةُ بعد نبيها أبو بكرٍ ثم عمرُ، ثم عثمان، وما كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يُنكِرُ ذلك). - أخرجه بهذا اللفظ: أبو داود في (سننه) (٤/ ٢٠٦ رقم: ٤٦٢٨)، وإسناده صحيح، والأثر أصلُه عند البخاري (٣/ ١٣٣٧ رقم: ٣٤٥٥) **بلفظ: (كنا نُخَيِّرُ بين الناس في زَمَنِ النبي صلى الله عليه وسلم، فَنُخَيِّرُ أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ ابن الخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانَ بن عَفَّانَ رضي الله عنهم)**، وقوله رضي الله عنه: **(كنا نُخَيِّرُ بين النَّاس)**، أي نقولُ: فلانٌ خَيرٌ من فلانٍ.

وورد في بعض الروايات -كما عند ابن أبي عاصم في (السنة) (٢/ ٥٦٨ رقم: ١١٩٦)، وأبي يعلى في (مسنده) (٩/ ٤٥٦ رقم: ٥٦٠٤) وغيرِهما- زيادةٌ في آخِرِهِ: **(فَيَبلُغ ذلكَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فلا يُنْكِرُهُ)**.-

فهذا دليلٌ على أنَّ عثمان أفضلُ الصحابةِ بعد أبي بكرٍ وعمرَ، ثم يليهم في الفضل عليٌّ رضي الله عنه، وهذا مما وقع فيه شيءٌ من الخلافِ القديمِ، فمن السلف من قدَّمَ عَلِيَّاً رضي الله عنه، ومنهم من قَدَّم عثمانَ على عليٍّ، ومنهم من تَوقَّفَ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في (العقيدة الواسطية) لما ذكر هذه المسألة: **(لَكِن اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ)**، وهذا هو الصواب، فقد استقر الأمر على أنَّ أفضل الصحابة هم: أبو بكرٍ، ثم عمرُ، ثم عثمانُ، ثم عليٌّ رضي الله عنهم أجمعين، =اتفقت الأمة، اتفق أهل السنة والجماعة على ذلك، ولا خلاف بينهم= وعلى هذا مشى الناظمُ رحمه الله.

من فضائل عثمان رضي الله عنه

قال الناظم رحمه الله تعالى:

٣٧- أَعْني ابنَ عَفَّانَ الشَّهِيدَ وَمَنْ دُعِي * في النَّاسِ (ذَا النُّورَينِ) صِهْرَ مُحَمَّد**

(أَعْني ابنَ عَفَّانَ الشَّهِيدَ وَمَنْ دُعِي) هذا زيادةُ توضيحٍ، =من الناظم رحمه الله تعالى=؛ وإلا فقد وَضَحَ بما ذُكِرَ من صفاتِه رضي الله عنه.

قوله: **(أَعْني ابنَ عَفَّانَ الشَّهِيدَ)** الذي قتله البُغَاة الطُّغَاة، قتلوه وهو يتلو كتاب الله، بعد ما حاصروه في داره أياماً، =لذلك يسمى شهيد الدار، ومن الذي قتله؟ لا اليهود ولا النصارى ولا الكفار! ولكنهم المسلمون، الخوارج الذين لم يرتضوا بعض أفعاله، التي فيها مدال للاجتهاد والتأويل=، ومنع رضي الله عنه الصحابةَ من الدِّفَاع عنه؛ لأنَّه لا يريدُ أن يُسفكَ في سبيله دمُ مسلمٍ، فما زال به رءوسُ الفتنةِ حتى اقتحموا عليه داره فقتلوه.

وقد أشار النبيُّ صلى الله عليه وسلم إلى هذا في الحديث الصحيح لما قال لأبي موسى رضي الله عنه =عندما جاء يستأذنه=: **(ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه)**. (٢٨)، فلما أبلغه أبو موسى بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من البشارة مع البلوى، قال: **(الله المستعان)**. متفقٌ عليه

وقوله: **(وَمَنْ دُعِي فِي النَّاسِ: ذَا النُّورَينِ)**، هذا لقبٌ مشهورٌ لعثمان رضي الله عنه، ويَرِدُ على لسانِ كثيرٍ من أهلِ العلم والمؤرخين، فهو معروفٌ بـ **(ذي النُّورَين)**، وقيل: إنه لُقِّبَ بهذا لزواجه من ابنتين من بنات النبي صلى الله عليه وسلم.

وهذا اللَّقب ليس مأثوراً عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، =فالنبي لم يلقبه بذلك= ولا عن أحدٍ من الصحابة رضي الله عنهم، =لم يلقبوه بذلك أيضا=؛ لكنَّه مما عُرِفَ به عند كثيرٍ من المؤرِّخين وأهلِ العلمِ، واشتَهَرَ إطلاقُه عليه، =وعند البحث وجدت أن عبد الله بن عمرو بن العاص قد لقبه بذلك، ولعله كان متعارفا بينهم، فقد ثبت عند الطبراني في معجمه الكبير، عَنْ عَبْدِ اللهِ بن عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: **(أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، أَصَبْتُمْ اسْمُهُ، وَعُمَرُ الْفَارُوقُ، قَرْنٌ مِنْ حَدِيدٍ، وَعُثْمَان بْنُ عَفَّانَ، ذُو النُّورَيْنِ، قُتِلَ مَظْلُومًا، وَأُوتِيَ كِفْلَيْنِ مِنَ الْأَجْرِ)**. (٢٩)

وجاء أن عليًّا رضي الله عنه سماه بذي النورين ففي (كنز العمال) في ["مسند علي رضي الله عنه" عن النزال بن سبرة قال: **(سألنا عليا عن عثمان؟)** قال: **(ذاك امرؤ يدعى في الملأ الأعلى ذا النورين؛ ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنتيه، ضمن له رسول الله صلى الله عليه وسلم بيتا في الجنة)**. أبو نعيم، "كر"].= (٣٠)

وقوله: **(صِهْرَ مُحَمَّدٍ)** قد سبق الكلامُ على هذه المصاهرة في البيت السابق.

فالمقصود أنَّ الناظمَ رحمه الله أثنى على عثمانَ رضي الله عنه هذا الثناء العاطر، ونَعَتَهُ بهذه الأوصاف، وهو أهلٌ لذلك رضي الله عنه وأرضاه، =فمن اعتقد ذلك يكون قد خرج من التشيع، وليس

---

(٢٨) (خ) (٣٦٧٤)، (م) ٢٨- (٢٤٠٣).

(٢٩) (طب) (ج١ ص٩٠ ح١٣٩)، وصححه الألباني في ظلال الجنة (١١٥٣، ١١٥٤).

(٣٠) كنز العمال (١٣/ ٣٥)، رقم: (٣٦١٨١).

من الرفض؛ **فالرافضي** هو الذي يسب أبا بكر وعمر ويطعن فيهم، والشيعي قد يسب ولكنه يقلد ويفضل، فهو الآن بهذا خرج من التشيع، والذي يؤمن بهؤلاء الصحابة ويجلهم يعني بذلك خرج من التشيع.=

رابعهم أبو الحسنين رضي الله عنهم

قال الناظم رحمه الله تعالى:

٣٨- قالوا: فَرَابِعُهُمْ؟ فَقُلتُ مُبَادِرَاً: ... مَنْ حَازَ دُونَهُمُ أُخُوَّةَ أَحْمَدِ

(**قالوا: فَرَابِعُهُمْ؟ فَقُلتُ مُبَادِرَاً**) يقول الناظمُ رحمه الله مبيّنَاً مراتبَ الخلفاءِ الرَّاشِدِين: (**قالوا: فَرَابِعُهُمْ؟**) يعني بعدما ذكرتَ الخلفاء الثلاثة؛ أبا بكرٍ وعمرَ وعثمانَ رضي الله عنهم، فمَن يكون رابعهم إذن؟

وقوله: (**فَقُلْتُ مُبَادِرَاً**) يعني: قلتُ مُسَارِعاً إلى الجواب دون توقُّفٍ ولا تردُّدٍ؛ وذلك لأنَّ المسألة واضحةٌ، والحقَّ فيها بيّنٌ، ورابعُ الخلفاءِ معروفٌ ومعيَّنٌ، وهو =أبو تراب أبو الحسنين= عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه.

وقوله: (**مَنْ حَازَ دُونَهُمُ**) =يعني هذه الصفة في علي، لا توجد في غيره من السابقين ولا اللاحقين= (**أُخُوَّةَ أَحْمَدِ**) =لكنّ المؤمنين كلَّهم إخوة، وأصحابا للنبي= يعني أُخُوَّةَ النبيّ صلى الله عليه وسلم، والمؤمنونَ كلُّهُم إِخوة، وأصحابُ النبيّ صلى الله عليه وسلم هم إِخوَتُه وأصحابُهُ، =وجمع بين صفتين في قوله صلى الله عليه وسلم: "**وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا**". (٣١)، فجمع بين الأخوة والصحبة لأصحابه، والأخوة فقط لمن بعده.=

(٣١) (م) ٣٩- (٢٤٩)

ولكن مَن قال له الرسول صلى الله عليه وسلم: (أَنتَ أَخِي) =فقد روى أحمد في مسنده أنه صلى الله عليه وسلم (قَالَ لِعَلِيٍّ: **"أَنْتَ أَخِي وَصَاحِبِي"**). (٣٢)، فهذه أصبحت أخوة خاصة= فله في هذه الإضافة فضيلةٌ على غيرِه.

=ولذلك وجدنا= كما قال سبحانه وتعالى في شأنِ أبي بكرٍ رضي الله عنه يومَ كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغار: **{إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ}**. (التوبة: ٤٠)، فنصَّ سبحانه وتعالى على أنَّ أبا بكرٍ رضي الله عنه صاحبٌ للنبي صلى الله عليه وسلم، مع أنَّ صفَةَ **(الصُّحْبَة)** مشتَرَكةٌ بين عمومِ الصَّحَابةِ رضي الله عنهم، **لكن خُصَّ أبا بكرٍ** رضي الله عنه بالنصِّ عليه من الله عز وجل ومن النبي صلى الله عليه وسلم بأنه صاحبُه، وقد قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: **(هل أنتم تَارِكُوا لي صَاحِبِي)**. أخرجه البخاري. (٣٣) =يعني بذلك أبا بكر رضي الله تعالى عنه.=

وهكذا عليٌّ رضي الله عنه جاء في الحديث الذي أخرجه الترمذيُّ (٣٧٢٠) وقال عنه: (حسنٌ غريبٌ) أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال له: **(أنت أخي في الدُّنيا والاخِرَة)**، لكن الحديث ضعَّفه أهلُ العلم..- (٣٤)، =فسند هذا الحديث فيه ضعف.

إذن من أين أتى بهذا الكلام عن الإخوة؟= فيحتمل أنَّ الناظمَ رحمه الله يشير إلى هذا الحديث للتصريح فيه بأُخوَّة عليٍّ رضي الله عنه للنبيِّ صلى الله عليه وسلم في الدُّنيا والآخرة، ويحتمل أيضاً -ولعله الأقرب- أنه يشير إلى قول النبيِّ صلى الله عليه وسلم لما استخلف عليَّاً رضي الله عنه على المدينة في غزوة تبوك وشق عليه ذلك قال له صلى الله عليه وسلم: «**أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ، مِنْ مُوسَى**». متفقٌ عليه. (٣٥) وهارون =فوق أنه نبي= هو أخو موسى عليهما السلام، وحملُ كلام النَّاظم رحمه الله على هذا =الحديث= لعله أَسَدُّ؛ لأنَّ هذا الحديثَ صحيحٌ بخلاف الحديث السابق.

---

(٣٢) (حم) (٢٠٤٠).

(٣٣) (خ) (٣٦٦١).

(٣٤) قال العراقي في (تخريج أحاديث إحياء علوم الدين) (٣/ ١١٣٩): [وكل ما ورد في إخوة على فضعيف لا يصح منه شيء] وقال الألباني في (السلسلة الضعيفة) (١/ ٥٢٦) ح(٣٥١): موضوع.

(٣٥) (خ) (٣٧٠٦)، (م) ٣١- (٢٤٠٤).

وقد دلَّ كلامُ الناظمِ رحمه الله في هذا البيت على أنَّ عليَّاً رضي الله عنه هو رابع الخلفاء الراشدين، فهو رابعهم في الفضل وفي الخلافة، فهو أفضل الصحابة على الإطلاق بعد الخلفاء الثلاثة.

ومسألة **المُفَاضَلَة** بين عليٍّ =رضي الله تعالى عنه= وعثمانَ رضي الله =تعالى= عنهما من المسائل التي وقع فيها خلاف بين السلف رحمهم الله، وأشار إليها شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة في (العقيدة الواسطية) حيث يقول:

(مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَد اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ؛ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ وَسَكَتُوا، أو رَبَّعُوا بِعَلِيٍّ، وَقَدَّم قَوْمٌ عَلِيًّا، وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا)، =هذا الخلاف في واقعنا المعاصر لا يهمنا ولا نريده، لكن نريد آخر كلمة في كلام ابن تيمية رحمه الله تعالى إذ يقول:= (**لَكِن اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ**)، =على الترتيب الذي نعرفه، أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، ورضي الله تعالى عنهم أجمعين= وهذا هو الصواب.

وقد صحَّ عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال: (**كنا نقول –ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم حيٌّ–: خيرُ هذِهِ الأمَّةُ بعد نبيها: أبو بكرٍ ثم عمرُ ثم عثمانُ**). (٣٦)

فما ذكره الناظم هنا من أن علياً رضي الله عنه هو رابعُ الخلفاءِ الرَّاشِدِين هو الحقُّ والصوابُ.

ولعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فضائل ومناقب جاءت بها السنَّة:

منها: ما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه: (**أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى**).

ومنها: ما جاء في حديث سَهْلِ بنِ سَعْدٍ رضي الله عنه المتفق عليه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال يوم خَيْبَرَ: ("**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ الله على يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ الله**

(٣٦) السنة لابن أبي عاصم، ومعها ظلال الجنة للألباني (٢/ ٥٦٦)، رقم: (١١٩٠)، ونحوه (خ) (٣٦٩٧)، (ت) (٣٧٠٧)، (د) (٤٦٢٨).

وَرَسُولُهُ")، =من هو؟ إنه علي رضي الله تعالى عنه مع أنه كان متأخرا في خيمته لم يظهر، لأنه كان أرمدَ العينين، فبصق في عينيه فصار مبصرا.=

قال: (**فَبَاتَ الناس يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ، أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا؟ فلما أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا على رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كُلُّهم يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا**)، فَقال: ("**أَيْنَ عَلِيُّ بنُ أبي طَالبٍ؟**) (فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ...).

متفق عليه

فهذا نصٌّ على فضلِ عليٍّ رضي الله عنه وأنَّه يُحِبُّ اللهَ ورسولَه، ويحبُّه اللهُ ورسولُه، وفي هذا رَدٌّ على الخوارجِ الذين يكفِّرُونَه، والنَّوَاصِبِ الذين يسبُّونَه.

ومنها أيضاً: أنه أفضل قرابة النبي صلى الله عليه وسلم، =فهو أفضل قريب للنبي صلى الله عليه وسلم= على الإطلاق، فهو أفضل بني هاشم بعد النبي صلى الله عليه وسلم، كما سيأتي.

ومن فضائله: أنَّه صِهْرُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم على ابنتِه فاطمةَ فُضْلَى بناتِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، بل فُضْلَى نساءِ هذه الأمَّةُ، بل هي سيِّدَةُ نساءِ أهلِ الجنَّة =رضي الله تعالى عنها وأرضاها= كما جاء ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم، مما يدل على فضلها ومنزلتها رضي الله عنها وأرضاها.

وقد وَلِيَ عليٌّ رضي الله عنه الخلافةَ بعد مقتل عثمان رضي الله عنه سنة ٣٥هـ، فبعد ما قُتل عثمانُ رضي الله عنه اضطربت الأمَّةُ وافترقت، وبايع جمهورُهم عليًّاً رضي الله عنه، **ولكن الأمَّةُ** لم تتفق على مبايعته، فقد امتنع من ذلك أهلُ الشام =وليس امتناعا مطلقا، وإنما امتناع لأمر يطالبون به، وعند تحقيقه تكون المبايعة، لكن بقيت الأمور لكون وقدر من الله عز وجل، أمر قدري= لشبهاتٍ عَرَضَت لهم، فولي رضي الله عنه الأمرَ قرابةَ خمس سنين.

وأفضل ما جرى في عهده رضي الله عنه **قتال الخوارج** الذين بشَّرَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم مَن قاتلهم بالأجر العظيم، فلما قاتلهم عليٌّ رضي الله عنه ووَجَدَ الرَّجلَ المُخْدَج (٣٧) =الذي له يد ليس فيها

---

(٣٧) عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: ذَكَرَ الْخَوَارِجَ فَقَالَ: (**فِيهِمْ رَجُلٌ مُخْدَجُ الْيَدِ، أَوْ مُودَنُ الْيَدِ، أَوْ مَثْدُونُ الْيَدِ، لَوْلَا أَنْ تَبْطَرُوا لَحَدَّثْتُكُمْ بِمَا وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ يَقْتُلُونَهُمْ، عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**)، قَالَ -عَبِيدة السلماني- قُلْتُ: (**آنْتَ سَمِعْتَهُ مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟**) **قَالَ: (إِي، وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، إِي، وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، إِي، وَرَبِّ الْكَعْبَةِ)**. (م) ١٥٥- (١٠٦٦).

عظم تشبه ثدي المرأة، إحدى يديه قصيرة تشبه ثدي المرأة حولها شعرات، وهو لونه أسود، واسمه رافع الأسود، وكان إذا سحبوها امتدت وإذا تركوها رجعت، وهذه آية وعلامة لعلي رضي الله تعالى عنه أنه يقاتله فـ= فرحَ بذلك وسرَّه؛ لما ورد في الحثِّ على قتال الخوارج والترغيب في ذلك والثناء على مَن قاتلهم، وقد ورد في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ من المُسْلِمِينَ يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالحَقِّ**). أخرجه مسلم (٣٨)، **فهذا نصٌّ صريحٌ** على أنَّ عليًّاً أولى بالحق من غيره، ولا خلاف بين الأمَّةُ كلِّها أنَّه كان أولى بالأمر حتى عند مَن خالفَه، كمعاوية رضي الله عنه =في الشام= ومَن معه من أهل الشام هو أولى بالأمر عندهم، =ولا يعتبرون خليفةً غيره، ولا معاوية ولا عمرو بن العاص الذين خالفوا عليا رضي الله تعالى عنه، ولا يخالفونه في الخلافة، وإنما يخالفونه في تأخير إقامة الحدود على قتلة عثمان، وهو يريد أن يؤجل حتى تستقر الأمور وهم يريدونها مباشرة حتى يعطوا البيعة=، فهم لا يدَّعون أنهم أولى بالأمر منه، لكنهم توقَّفوا وامتنعوا من المبايعة لبعض الشبهات التي عرضت لهم.

الثناء على رابع الخلفاء رضي الله عنهم

قال الناظم رحمه الله تعالى:

٣٩- زَوجُ البَتُولِ وَخَيرُ مَنْ وَطِئَ الحَصَى * بَعْدَ الثَّلاَثَةِ وَالكَرِيمُ المَحْتِدِ**

(**زَوجُ البَتُولِ وَخَيرُ مَنْ وَطِئَ الحَصَى**)؛ في هذا البيت وصف الناظمُ رحمه الله عليًّاً رضي الله عنه بثلاث صفات:

١- أنه زوج فاطمة البتول رضي الله عنهما، =ومعناها المنقطعة في الحسن والجمال والشرف.=

٢- وأنه خير من وطئ الحصى =وفي نسخة الورى، وهذا= بعد الثلاثة.

وجاء في (مشارق الأنوار الوهاجة ومطالع الأسرار البهاجة في شرح سنن الإمام ابن ماجه) للأثيوبي (٣/ ٤٧٦): (فَقَالَ: فِيهِمْ) أي الخوارج (رَجُلٌ مُخدَجُ الْيَدِ) بضم الميم، وإسكان الخاء المعجمة، وفتح الدال-: أي ناقص اليد (أَوْ) للشكّ من الراوي (مَوْدُونُ الْيَدِ) - ويروى مودن- بضم الميم، وإسكان الواو، وفتح الدال، ويقال: بالهمزة، وبتركه، وهو ناقص اليد، ويقال أيضًا: وَدِينُ (أَوْ) للشكّ أيضًا (مَثْدُونُ الْيَدِ) بفتح الميم، وثاء مثلّثة ساكنة، وهو صغير اليد، مُجْتمِعها، كثَدْوة الثَّدْي، وهي بفتح الثاء بلا همز، وبضمّها مع الهمز، وكان أصله مثنود، فقُدِّمت الدال على النون، كما قالوا: جَبَذَ وجَدبَ، وعاثَ في الأرض، وعَثَا. قاله النوويّ رحمه الله.

(٣٨) (م) (١٠٦٤).

٣- وأنه الكريمُ المَحْتِدِ.

فقوله: (**زَوجُ البَتُولِ**) هذا من فضائله رضي الله عنه أنه زوج البتول، =وتطلق على مريم البتول وهي التي انقطعت عن الرجال= والمراد بـ (**البتول**) هنا **فاطمةُ** رضي الله عنها، =في الحسن والشرف، أو هي التي انقطعت عن الرجال فلم تتزوج إلا عليا رضي الله تعالى عنه=، وإلا فوصف البتول يطلق أيضاً على **مريمَ** بنتِ عِمْرَان الصدِّيْقَة، وقيل في مريم: إنها بتول، يعني منقطعةٌ عن الرِّجال فلم يَمَسَّها بشرٌ ولم تَكُ بغِيًّاً، **وقيل في معنى** أنَّ فاطمةَ بتول: يعني منقطعةٌ عن نساءِ زمانها، فلا نظير لها في نساء الأمَّةُ في الفضلِ والدِّينِ والشَّرفِ، وعلى كلِّ حال فلفظُ (**البَتُول**) يدلُّ على العفافِ والطُّهْرِ والفضلِ.

وقوله: (**وَخَيرُ مَنْ وَطِئَ الحصى**) -وفي نسخةٍ: (**الثرى**)- (بعد الثلاثة)، في هذا تنصيصٌ على مرتبته رضي الله عنه في الفضل، وأنه أفضل الصحابة بعد الثلاثة: أبي بكر وعمر وعثمان، فهو إذن أفضلُ الأمَّةُ ؛ وخيرُ مَن وَطِئَ الثَّرَى بعد هؤلاء الثلاثة رضي الله عنهم.

وقوله: (**وَالكَرِيمُ المَحْتِدِ**) أي: كريمُ الأَرُوْمَة والأَصْل، فهو رضي الله عنه كريمُ النَّسَب، كيف لا؟ وهو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، فهو ابنُ عمِّ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وصِهْرُهُ على ابنَتِهِ فاطمة رضي الله عنها، وهو أفضل بني هاشم بعد النبي صلى الله عليه وسلم، فهو داخل في الاصطفاء والاختيار =الوارد= في قوله صلى الله عليه وسلم: (**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ من وَلَدِ إسماعيل، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا من كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى من قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي من بَنِي هَاشِمٍ**)، رواه مسلم[٣٩]، =فعلِيٌّ من بني هاشم.=

فهو كريمُ النَّسَب؛ إذ جمعَ اللهُ له بين فضل الصحبة وفضلِ القرابة، فيجب أن يُعرَف لعليٍّ رضي الله عنه فضلَه، فيُحَبُّ لإيمانِه وفضلِه في الدِّين، ويُحب كذلك لقرابتِه من النبي صلى الله عليه وسلم، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لما شكا إليه عمُّه العباسُ رضي الله عنه أنَّ قريشاً يجفون =الجفاء أي يخاصمونه= بني هاشم قال: ("**والله لاَ يَدْخُلُ قَلْبَ امْرِئٍ إِيمَانٌ حتى يُحِبَّكُمْ لله** عز وجل") -يعني لدينكم وإيمانكم

([٣٩]) (م) (٢٢٧٦).

بالله- ("**ولقرابتي**")، وفي رواية: ("**حتَّى يُحِبَّكُمْ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ**"). أخرجه الترمذي في جامعه (٥/ ٦٥٢ رقم: ٣٧٥٨) واللفظ له، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

فضائل علي رضي الله عنه كثيرة

قال الناظم رحمه الله تعالى:

٤٠- أَعْنِي أَبَا الحَسَنِ الإِمَامَ وَمَنْ لَهُ * بَينَ الأَنَامِ فَضَائِلٌ لَمْ تُجْحَد**

(**أَعْنِي أَبَا الحَسَنِ الإِمَامَ وَمَنْ لَهُ**) في هذا البيت صرَّح الناظمُ رحمه الله بالمعْنِيِّ في البيتين السابقين، فلما ذكر صفاته ومناقبه أوَّلاً، عيَّنه وبيَّنَه بعد ذلك بقوله: (**أَعْنِي أَبَا الحَسَنِ**)؛ وهذه كنيةُ عليٍّ رضي الله عنه، =والعرب يكنون بأكبر الأبناء، وأحيانا تأتي الكنية بصفة فيه، كما كناه النبي صلى الله عليه وسلم بأبي تراب، وكنية أبي الحسن=، وهو مشهورٌ بها؛ لأنَّ الحَسَن أكبرُ من الحسين رضي الله عنهما، فالحسن هو أكبرُ وَلَدَيهِ من فاطمة رضي الله عنهم أجمعين، =ففاطمة أنجبت الحسن والحسين ومحسِّنًا ومات صغيرا.=

وقوله: (**الإِمَامَ**) لم يكن يُعرفُ رضي الله عنه في خلافتِهِ **بـ** (**الإِمَامَ**)، بل كان يلَقَّبُ **بـ** (**أمير المؤمنين**)، والتلقيب **بـ** (**أمير المؤمنين**) بدأ من زمن عمرَ رضي الله عنه، أما الذين يلقِّبُونَ عليًّا رضي الله عنه بـ(الإِمَامَ) فهم الرافضة، ولكن قد يجري على السنة بعض أهل السُنَّة إطلاق اسم (الإِمَامَ) على عليٍّ رضي الله عنه، وهو -ولا شكَّ- إمامٌ، ولكن الإمامة في الدِّين لا تختصُّ به، بل هي متحقِّقة له ولغيره من الخلفاء الراشدين، وسائر علماء الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

وقوله: (**وَمَنْ لَهُ بَينَ الأَنَامِ**) أي بين الخَلِيقَة، (**فَضَائِلٌ**) جمعُ (فضيلة)، وهو من صيغ منتهى الجموع التي لا تنصرفُ ولا تُنَوَّنُ، =الأصل أن نقول: فضائلُ=، ونُوِّنَت هنا من أجل استقامة النظم، وهذا جائزٌ في الشعر.

وقوله: (**لَمْ تُجْحَدِ**) أي لا سبيل إلى جَحْدِهَا وإنكارها، ومن فضائله التي لا تجحد ما تقدَّمت الإشارة إليه، وأيضاً فقد جمع الله له بين فضل الإيمان، والهجرة، والنصرة والجهاد، والصحبة العظيمة الطويلة من صغره رضي الله عنه؛ =فقد كان يدافع عن النبي صلى الله عليه وسلم منذ صغره حيث نام في فراشه،

واستمرت نصرته=، حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو صاحبُه وصِهْرُه وقرِيبُهُ رضي الله عنه وأرضاه، ورزقنا حُبَّهُ وحُبَّ جميع الصحابة والقرابة.

الثناء على كاتب الوحي

معاوية أمير المؤمنين رضي الله عنه

قال الناظم رحمه الله تعالى:

٤١- وَلإِبْنِ هِنْدٍ فِي الفُؤادِ مَحَبَّةٌ * وَمَوَدَّةٌ فَلَيَرْغَمَنَّ مُفَنِّدِي**

(**وَلإِبْنِ هِنْدٍ فِي الفُؤادِ مَحَبَّةٌ**) لما فرغ الناظمُ رحمه الله من ذِكْر الخلفاءِ الرَّاشدين، وما لهم من المناقب والفضائل، أعقَبَهُم بذكرِ معاويةَ بنَ أبي سفيان رضي الله عنه، =مع أنه ليس بخليفة، بل هو ملك= فقال: (وَلإِبْنِ هِنْدٍ) قطع همزة (ابن) للوزن =والضرورة الشعرية،= ونَسَبَهُ النَّاظمُ لأُمِّهِ هند بنتِ عُتْبَةَ رضي الله عنها، وأما أبوه فهو أبو سفيانَ صَخْرُ بنُ حَرْبٍ سيِّدُ قريشٍ.

وهندُ بنتُ عُتْبَةَ امرأةٌ فاضِلةٌ عاقِلَةٌ، وهي التي قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما بايعَ النساءَ "**على ألَّا يُشْرِكن بالله شيئاً ولا يَسْرِقْنَ ولا يَزْنِينَ**": (أَوَ تَزْنِي الحُرَّةُ؟!)، =أنكرت الزنا لأنّه عندها شرف وعفة رضي الله تعالى عنها،= وهي أيضاً التي سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: (يا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ لَا يُعْطِينِي من النَّفَقَةِ ما يَكْفِينِي وَيَكْفِي بَنِيَّ؛ إلا ما أَخَذْتُ من مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمِهِ، فَهَلْ عَلَيَّ في ذلك من جُنَاحٍ؟) =تأخذ من وراءه، وتنفق على نفسها وأبنائها=، فقال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ("**خُذِي من مَالِهِ بِالمَعْرُوفِ ما يَكْفِيكِ وَيَكْفِي بَنِيكِ**"). متفقٌ عليه [٤٠]

ومعاوية رضي الله عنه =رغم أنوف من لم يترض عنه، فقد كان= من الذين أسلموا بعد صلح الحديبية، وقبل فتح مكة، بخلاف أبيه فإنَّه لم يُسْلِم إلا في فتح مكة، وقد اشتهر رضي الله عنه بجملةٍ من المناقبِ والأخلاقِ الفاضلةِ.

---

(٤٠) (خ) (٧١٨٠)، (م) ٧- (١٧١٤).

فقد **استَكْتَبَه** النبيُّ صلى الله عليه وسلم واتخذه أحدَ كُتَّابِ الوحي.

وأمَّرَه عمرُ رضي الله عنه على الشام، فكان أميراً على الشام عشرين سنة حتى آل إليه أمرُ الخلافة سنة ٤٠هـ، فصار أميراً للمؤمنين عشرين سنة، فكانت مدة إمارته الخاصة والعامة أربعين سنة.

وقوله: (**ولإبنِ هِنْدٍ في الفُؤادِ**) يعني في القلب، (**مَحَبَّةٌ وَمَوَدَّةٌ**) المحبة والمودَّة معناهما واحدٌ أو متقاربٌ. ([٤١])

وقوله: (**فَلَيَرْغَمَنَّ**) اللام هنا لام القسم، يعني: فوالله =العظيم= لَيَرْغَمَنَّ من (الرَّغَام) -بالفتح- الذي هو التُّراب.

وقوله: (**مُفَنِّدِي**) -الفَنَدُ؛ بالتحريك: الخَرَفُ وإنكارُ العَقْلِ لِهَرَمٍ أَو مَرَضٍ، والفَنَدُ الخَطَأُ في القولِ والرَّأْيِ، والفَنَد الكَذِبُ، يقال: فَنَّدَه تَفْنِيداً إذا كَذَّبَهُ وعَجَّزَهُ وخَطَّأَ رَأْيَهُ وضَعَّفَهُ.-

يعني من يُنْكِرُ عليَّ، ويَعِيبُني على محبتي لمعاوية رضي الله عنه، ووقع في نسخةٍ: (**فَلَيَرْغَمَنَّ المُعْتَدِي**) وهي قريبةٌ في المعنى من سابقتها، فالمُفَنِّدُ للنَّاظِم على حُبِّهِ ومودتِه لمعاويةَ رضي الله عنه هو معتدٍ في تفنيده له، وهو أيضاً معتدٍ في بغضِه لمعاويةَ رضي الله عنه، وكأنَّ الناظم رحمه الله يشير بهذا إلى الرافضة؛ لأنَّهم يُبغضون معاوية رضي الله عنه بسبب غلوِّهم في عليٍّ رضي الله عنه.

فالناظمُ رحمه الله عَمَدَ إلى التنْصِيصِ على فضل الخلفاء الرَّاشدين، ثم فضل معاوية رضي الله عنه، وفي هذا إرغامٌ ومُرَاغَمَةٌ للرَّافِضَة التي تُضْمِرُ العِدَاء والكيد والبغض لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم لكلِّ مَن جاء بعدهم ممن سَارَ على أَثَرِهِم وسلك سبيلَهُم من أهلِ السنَّة والجماعة.

فهؤلاء **الرَّوَافض** يُبغِضُون خِيَارَ الأمَّةُ؛ أبا بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وسائرَ الصَّحَابَة رضي الله عنهم، ولذا فبُغضهم لمعاوية ليس أمراً خاصّاً به، لكنَّ بعض الشيعة من غيرِ الرافضة يُبغِضُ معاويةَ أيضاً، وإن كان لا يُبْغِضُ أبا بكرٍ وعُمَرَ؛ وذلك لما كان بين معاوية وعليٍّ رضي الله عنهما من خِلافٍ، فهم يُبغِضُون معاويةَ

([٤١]) قال سبحانه: **{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا}**. (مريم: ٩٦)، أي محبة ومودة في قلوب الناس.

بسبب غلوّهم في حُبِّ عليٍّ رضي الله عنه، والواجب العدل، فمعاوية رضي الله عنه صحابيٌّ جليلٌ، لكنه ليس بمعصومٍ من الخطأ والزلل، بل ولا أحد من الصحابة كذلك، بل كلُّهم تجوز عليهم الذنوب، لكن لهم من الحسنات ما يُرجى أن تكون ذنوبهم مغمورةً فيها.

فالواجبُ هو معرفةُ فضلِهم وإنزالُهم منزلتَهم، =رضي الله تعالى عنهم=، والتماسُ العذرِ لهم فيما صدر منهم؛ =لأن الصحابة رضي الله تعالى عنهم بشر، ويقع منهم أخطاء، فنعتذر لهم= وهم في ذلك إمَّا مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون، =فإن كانوا مصيبين فلهم أجران، وإن كانوا مخطئين فلهم أجر واحد، أخطأ معاوية رضي الله تعالى عنه في اجتهاده في مقاتلة علي فله أجر، وأصاب عليٌّ =رضي الله تعالى عنه= في اجتهاده في مقاتلة صفين وغيرها فله أجران، فرضي الله عن الجميع.=

هذا هو منهج أهل السنة والجماعة فيما شجر بين الصحابة الكرام رضي الله عنهم، فهو يتلخَّص في أمرين =احفظوهما=:

أولاً: **الكفُّ** عن الخوض فيما شجر بينهم.

والثاني: التماسُ **العذر** لهم، وإذا كان هذا واجباً في حق جميع المسلمين، =نكف عما شجر بينهم ونلتمس لهم الأعذار=، فهو في حقِّ صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم آكَدُ وأَوجَبُ، =رضي الله تعالى عنهم.=

–**في الحاشية:** قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في (العقيدة الواسطية) عن منهج أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام رضي الله عنهم–: (وَيَتَبَرَّءُونَ مِنْ طَرِيقةِ **الرَّوَافِض** الذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ، وَطَرِيقَةِ **النَّوَاصِبِ** الذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ البَيْتِ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الاثَارَ المَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ، وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ، وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ، وَالصَّحِيحُ مِنْهُ هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ: إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُون.

وَهُمْ –مَعَ ذَلِكَ– لاَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِن الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الإِثْمِ وَصَغَائِرِه، بَلْ تَجُوزُ عَلَيْهِم الذُّنُوبُ فِي الجُمْلَة، وَلَهُمْ مِن السَّوَابِقِ وَالفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ إِنْ صَدَرَ، حَتَّى

أَنَّهُمْ يُغْفَرُ لَهُمْ مِن السَّيِّئَات مَا لاَ يُغفرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ؛ لأَنَّ لَهُمْ مِن الحَسَنَاتِ التِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ، وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم؛ أَنَّهُمْ **خَيْرُ القُرُونِ**، وَأَنَّ المُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مِمَّنْ بَعْدَهُمْ، ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ عَنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ، أَوْ أَتَى بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ، أَوْ غُفِرَ لَهُ بِفَضْلِ سَابِقَتِه، أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم الذِي هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ، أَو ابْتُلِيَ بِبَلاَءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ، فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ المُحَقَّقَةِ فَكَيْفَ الأُمُورُ التِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ: إِنْ أَصَابُوا فَلَهُمْ أَجْرَانِ، وَإِنْ أَخْطَأُوا فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَالخَطَأُ مَغْفُورٌ.

ثُمَّ القَدْرُ الذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ قَلِيلٌ نَزْرٌ مَغْمُورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ القَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ؛ مِن الإيمان بِاللهِ وَرَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم، وَالجهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالهِجْرَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَالعِلْمِ النَّافِعِ، وَالعَمَلِ الصَّالحِ.

وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ القَوْمِ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ، وَمَا مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ بِهِ مِن الفَضَائِلِ، عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ خَيْرُ الخَلْقِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ، لاَ كَانَ وَلاَ يَكُونُ مِثْلُهُمْ، وَأَنَّهُم الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الأُمَّةُ؛ التِي هِيَ خَيْرُ الأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى الله جَلَّ شَأْنُهُ). انتهى.

إنه كاتب الوحي رضي الله عنه

قال الناظم رحمه الله تعالى:

٤٢- ذَاكَ الأَمِينُ المُجْتَبَى لِكِتَابَةِ الـ * وَحْيِ المُنَزَّلِ ذُو التُّقَى وَالسُّؤدَد**

(**ذَاكَ الأَمِينُ المُجْتَبَى لِكِتَابَةِ الـ *** وَحْيِ**) ذكر الناظم رحمه الله في هذا البيت بعضاً من المناقب والفضائل التي اشتهر بها معاوية رضي الله عنه، فقال: (**ذَاكَ**) إشارة إلى مَن سماه (**ابنَ هِنْدٍ**)، وهو معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه، (**الأَمِينُ المُجْتَبَى**) وصفه هنا بالأمانة، وحقاً إنَّه لأمينٌ، ودلَّل على ذلك بأنَّ الرَّسولَ صلى الله عليه وسلم اجتباه واختاره (**لِكِتَابَةِ الوَحْيِ المُنَزَّلِ**) وهو القرآن، وهذا أدلُّ دليلٍ على أمانته رضي الله عنه، وهذه فضيلةٌ عظيمةٌ لمعاوية رضي الله عنه تدل على عظيم صِلَتِهِ بالنبيِّ صلى

الله عليه وسلم وعلى منزلتِه عنده، ولهذا اختاره لهذا الشأنِ العظيمِ، ثم صار بعد ذلك بمنزلةٍ عاليةٍ عند أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين.

وقوله: **(ذُو التُّقَى وَالسُّؤدَدِ)** هذا تأكيدٌ لما قبله، فهو رضي الله عنه من المؤمنين الصالحين المتقين، وهو -أيضاً- ذو سؤدَدٍ ومكانةٍ عاليةٍ بين قومه وعشيرته، وله من الأخلاقِ الكريمةِ والصفاتِ الحميدةِ ما اشتهر به، من الحِلم وحُسن النَّظَرِ والحنكة والقدرة العظيمة في سياسة الأمة، حتى ذُكِر عنه أنه قال: **(لو كان بيني وبين النَّاس شَعْرَةٌ لم تنقطع، إن أرخوها شَدَدْتُها، وإن شدُّوها أَرْخَيتُهَا)**، =لا تنقطع العلاقة بينه وبين الناس.=

وقد أثبت رضي الله عنه بإمرته إدارةً عظيمةً، ومن خير ما حصل في عهده؛ أنَّه جيَّشَ الجيوش وركبوا البحر، **ففي عهده** وقعت أولى الغزوات البحرية، حيث غزا بلاد الروم مرتين، =أي افتتح افتتحها رضي الله تعالى عنه= وهذا مما يُحتسب له رضي الله عنه. (٤٢)

الترضي عن جميع الصحابة رضي الله عنهم

قال الناظم رحمه الله تعالى:

٤٣- فَعَلَيهِمُ وَعَلَى الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ ... صَلَوَاتُ رَبِهِمُ تَرُوحُ وَتَغْتَدِي

---

(٤٢) هنا في بعض النسخ زيادة خمسة أبيات، =مقحمة في المنظومة= وهي:

(٤٥) ولعمّ سيدنا النَّبي مناقِبٌ ..... لَو عُدِدت لم تنحَصِرْ بتَعَدُّدِ

(٤٦) أَعْنِي أَبا الفَضْل الَّذِي استَسْقَى به ..... عُمْرُ أوان الجَدْب بين الشُّهَّدِ

(٤٧) ذاك الهُمامُ أبو الخلائفِ كلّهم ..... نَسَقَاً إلى المستظهرِ بن المقتدي

يريد بالأبيات: العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد طلب منه عمر بن الخطاب أن يدعو لهم بإنزال المطر والسُّقْيَا -لما أصابهم من الجدب- وهذا معنى الاستسقاء به، والحديث في البخاري.

(٤٨) صلّى عليه الله ماهَبَّت صَبًا ..... وَعَلى بنيه الرّاكعين السُّجَّدِ

(٤٩) وَأَدَام دولتهم عَلَيْنا سَرمدًا ..... ما حَنْ في الأسحار كُلُّ مُغَرِّدِ)

=**فيتكلم** عن المستظهر ابن المقتدي والذي كان يعيش في عهده في عصر خلفاء الدولة العباسية، ولعم سيدنا يقصد به العباس الذي استسقى بدعائه عمر رضي الله تعالى.=

(**فَعَلَيهِمُ وَعَلَى الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ**) قوله: (**فَعَلَيهِمُ**) إشارةٌ إلى كلِّ مَن تقدَّم ذكره من الصحابة الكرام رضي الله عنهم، =جميعهم رضي الله تعالى عنهم السابقين والذين لم يذكروا من الصحابة.=

وقوله: (**وَعَلَى الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ**) يعني: ممن لم يُذْكَر ولم يَصَرَّح باسمِه.

وقوله: (**صَلَوَاتُ رَبِّهِمُ تَرُوحُ وَتَغْتَدِي**) (الرَّوَاح): هو الذَّهابُ في المساء، **و** (**الغُدُوّ**): هو الذَّهابُ في الصباح، فقوله: (**تَرُوحُ وَتَغْتَدِي**) يعني: عليهم صلوات الله صباحاً ومساءً.

وهذا يساوي أن يقول: عليهم صلوات الله دائماً وأبداً؛ لأنَّه يُعبَّر عن دوام الشيء بوُرُودِهِ وحُصُولِهِ صباحاً ومساءً.

حبُّ الصحابة إيمان وبغضهم نفاق

قال الناظم رحمه الله تعالى:

٤٤- إِنِّي لأَرْجُو أَنْ أَفُوزَ بِحُبِّهِمْ * وَبِمَا اعْتَقَدْتُ مِنَ الشَّرِيعَةِ فِي غَد**

(**إِنِّي لأَرْجُو أَنْ أَفُوزَ بِحُبِّهِمْ**) ختم الناظم رحمه الله هذه المنظومة بقوله: (**إِنِّي لأَرْجُو أَنْ أَفُوزَ بِحُبِّهِمْ**) يعني: إني لأرجو أن أفوز بسبب حُبِّي لهم رضي الله عنهم؛ **لأنَّ** (**حُبَّهم دِينٌ وإِيمانٌ وإحسانٌ، وَبُغْضَهُم كُفْرٌ ونِفَاقٌ وطُغْيَانٌ**)، كما يقول الطَّحَاوي رحمه الله في (عقيدته) (٤٣) المشهورة.

فحُبُّهُم رضي الله عنهم =أجمعين= من أعظمِ مراتبِ الحُبِّ في الله عز وجل.

وقوله: (**وَبِمَا اعْتَقَدْتُ مِنَ الشَّرِيعَةِ**) يعني: وبسبب ما اعتقَدتُ من الاعتقادات الشرعية الصحيحة في الله عزّ وجلّ وملائكته وكتبه ورسله، -مما نصَّ عليه فيما سبق- وغيرِه من عقائد الدِّين.

---

(٤٣) قال الطحاوي: [وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ==ونحن كذلك، ونسأل الله ذلك== وَلَا نُفَرِّطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلَا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُمْ، وَبِغَيْرِ الْخَيْرِ يَذْكُرُهُمْ، وَلَا نَذْكُرُهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، وَحُبُّهُمْ دِينٌ وَإِيمَانٌ وَإِحْسَانٌ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ وَطُغْيَانٌ]. شرح الطحاوية- ط الأوقاف السعودية (ص: ٤٧٥).

وقوله: **(في غَدِ)** يعني =هذا ينفع= في يوم المعاد، فإنَّه يُعَبَّر عن اليوم الآخر بـ(الغَد)، =أي يوم القيامة= كما قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}**. (الحشر: ١٨)، وهو اليوم الموعود الآتي لا محالة، وهو اليوم الذي من فاز فيه فاز بالسعادة الأَبَدِيَّة، ومن شقي فيه باءَ بالحَسْرَةِ والشَّقَاء الدَّائِم.

وهذا الذي ذكره الناظمُ رحمه الله هنا هو اللائق بكلِّ مَنْ مَنَّ اللُه عليه بالإسلام؛ أن يجعل هِمَّتَه في الفوز في ذلك اليوم الموعود، وذلك بدخول الجنة، والنجاة من النار، والفوز بمغفرة الله ومرضاته، فإنَّ الفوزَ في ذلك اليوم هو الفوزُ العظيم، وهو الفوزُ الكبير.

ولا ريب أنَّ حُبَّ الصحابةِ رضي الله عنهم، وحُبَّ مَن يُحِبُّه الله من أنبيائِه وعبادِه الصالحين، =حتى حبّك لأخيك المسلم فيدخل في ذلك=، والإيمان بشرعِهِ ظاهراً وباطناً؛ أنَّه سَبَبُ الفوزِ في ذلك اليوم العظيم يوم القيامة.

التأييد والتوفيق من الله جل جلاله

قال الناظم رحمه الله تعالى:

٤٥- قالوا: أَبَانَ الكَلْوَذَانِيُّ الهُدَى * قلتُ: الذِي فَوقَ السَّمَاءِ مُؤَيِّدِي**

(قالوا: أَبَانَ الكَلْوَذَانِيُّ الهُدَى) قوله: **(فَوقَ السَّمَاءِ)**، وقع في بعض النسخ: **(رَفَعَ السَّمَاءَ)**.

(قالوا) يعني: أولئك الذين ألقوا إليه هذه المسائل يشكرونه، ويقولون: **(أَبَانَ الكَلْوَذَانِيُّ الهُدَى)** يعني: بأجوبته المتقدِّمة، قد بيَّن لنا الهدى والصواب في هذه المسائل التي سألوه عنها، =وهي المختلف فيها.=

فرَدَّ عليهم بقولِه: **(قلتُ: الذِي فَوقَ السَّمَاءِ مُؤَيِّدِي)**؛ يعني أنَّ الذي فوق السماء -وهو الله سبحانه وتعالى- هو الذي مَنَّ عليَّ وأيّدني وعلَّمني ووفقني، =فأرجع الأمر إلى الله، ولم يقل: **{إنما أوتيته على علم عندي}**،= فهذا من إضافة النعمة إلى مُوْلِيْها، يعني ما أجبتُ به من الصواب والهدى والبيان

إنما كان بتأييده وتعليمه وفتحِه سبحانه وتعالى، فإنَّه ما من نعمةٍ للعباد إلا من الله عز وجل: **{وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ}**. (النحل: ٥٣)

وهكذا ينبغي للمسلم في جميع ما أنعم الله به عليه من النعم الدينية والدنيوية؛ أن يضيف ذلك كلَّه إلى الله عز وجل، كما جاء في حديث سَيِّدِ الاستغفار: **(أَبُوءُ لك بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ)**. أخرجه البخاريُّ (٤٤) =وهو في أحاديث أذكار الصباح والمساء= يعني أعترف لك بالإنْعَامِ والإفْضَال، فكلُّ ما عندي من نعمةٍ فهي منك يا الله، **وبهذا يكون العبدُ** شاكراً لنعمة الله عليه، فإنَّ أوَّلَ الشكرِ الاعترافُ بحقِّ المُنعِمِ وعظيمِ فَضْلِهِ.

=قال الشيخ البراك حفظه الله تعالى:=

وقد أحسن الناظمُ رحمه الله في هذا الخِتَام من حيث بيَّن مقصوده، وبيَّن كذلك فضل الله عليه ولم ينسب ذلك إلى نفسه وعلمه وقدرته، بل أضاف ذلك إلى ربه عز وجل، وأنه هو الذي أمدّه وأيّده، نسأله سبحانه وتعالى أن يمدنا بتوفيقه وتأييده.

فجزى الله الناظم خيراً، =ورحمه الله رحمة واسعة=، على ما بيَّنَه وقَصَدَ إليه في هذه القصيدة؛ من بيان الحق، وما قرَّره من مذهب أهل السنَّة والجماعة في الإيمان، وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأما ما وقع في بعض المواضع من هذه القصيدة من ملاحظة أو استدراك أو نحو ذلك، سواء أكان في ما أجمله الناظم، أم في ما صرَّح به ونصَّ عليه فله أسوةٌ بغيرِه من أهلِ العلم، =وهذا اعتذار له=، وكثيرٌ من أهل العلم دَخَلَت عليهم هذه المذاهب الكَلاَمِيَّة، ووقعوا فيها عن اجتهادٍ وحسنِ نِيَّةٍ، فغفر الله لهم ورحمهم ورضي عنهم =جميعا.=

وعلى كلِّ حال فأبو الخطَّاب أحدُ العلماءِ المعروفين بالفقه والدِّين والصلاح، فرحمه الله وجزاه الله خيراً.

---

(٤٤) (خ) (٦٣٠٦).

فيجب أن يكون الحقَّ ضالةُ المؤمن، وأن نعرف الرِّجَال بالحقِّ، لا أن نعرف الحق بالرجال، فكلٌّ يؤخذ من قوله ويُرَدُّ، **ومذهبُ أهلِ السنَّة والجماعة** إنما يُتَلَقَّى عن الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من الأئِمَّة المَرْضِيِّين؛ كالإمام مالكٍ والشافعيِّ وأحمدَ بنِ حنبل، وغيرِهم من أئمَّةِ أهلِ السنَّة، كالبخاريِّ ومسلمٍ، =والترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجة= وغيرِهم من أئمَّةِ الحديث.

فهؤلاء هم الأصلُ في معرفةِ مذهبِ أهلِ السنَّة والجماعة في هذه المسائل التي اضطرب فيها النَّاسُ، كمسألة (**الأسماء والصفات**)، ومسألة (**القدر**)، ومسألة (**الإيمان**)، ومسألة (**الصحابة**)، فهذه هي المسائل الكبار التي افترقت فيها الأمة، والله تعالى حافظٌ دينَه.

فلا بد أن يبقى لهذا الدِّين مَن يحفَظُه ويُجَلِّيه، =أين يبينه ويوضحه=، **ويبقى للسُنَّة** مَن يحيي ما اندَرَسَ منها، **ويزيح** الغشاوة عنها، **ويقمع** البدع والمحدثات، =هذا سيبقى إلى يوم القيامة إن شاء الله تعالى.=

ومن أعلام أولئك شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة =رحمة الله تعالى عليه=، الذي أحيَى اللهُ به كثيراً من السُّنَن التي أُمِيتَت، وقَمَعَ الله به بِدَعَ المبتدِعِين، ونفع الله به من جاء بعده، ومن كان في عصره من المسلمين.

ولا يزال المسلمون -ونحن منهم- يتفيئون ظلال هذه الجهود والدَّعَوات المباركة لسلفنا الصالح، فجزاهم الله عنَّا وعن المسلمين أحسن الجزاء، ونفعنا وإياكم بما علمنا، وثبتنا على دينه، إنه سميعُ الدُّعَاء.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

=وبارك الله في الشيخ عبد الرحمن البراك الشارح، وهاني الجبير الذي علَّق بعض التعليقات التي استفدنا منها، وبارك الله فيمن استفدنا منهم من المصادر والمراجع الأخرى.

وبارك الله فيكم أيها المستمعون

هذا والله أعلم

وبارك الله فيكم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

- **المعتمد عليه من شروح الدالية:**

١- من تعليق مقتضب لهاني بن عبد الله بن جبير من سلسلة بحوث وتحقيقات مختارة من مجلة الحكمة (٤).

٢- (شرح القصيدة الدالية)، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، اعتنى به: ياسر بن سعد بن بدر العسكر، الناشر: دار ابن الجوزي الطبعة: الأولى، (١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م) بتصرف يسير.

- **المراجع والمصادر غير القرآن وكتب السنة التسعة:**

- **العناوين حسب حروف المعجم:**

١- (الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد)، لابن العطار (المتوفى: ٧٢٤هـ)، (ص: ٣٧٨)، وانظر الحاشية.

٢- (تاريخ إربل) للإربلي، المعروف بابن المستوفي (المتوفى: ٦٣٧هـ).

٣- (تخريج أحاديث إحياء علوم الدين) للعراقي.

٤- (حلية الأولياء) لأبي نعيم.

٥- (السلسلة الصحيحة) للألباني.

٦- (السلسلة الضعيفة) للألباني.

٧- (شرح العقيدة الطحاوية).

٨- (شعب الإيمان) للبيهقي.

٩- (صَحِيح الْجَامِع) للألباني.

١٠- (اللباب في تهذيب الأنساب)، لابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ).

١١- (مشارق الأنوار الوهاجة ومطالع الأسرار البهاجة في شرح سنن الإمام ابن ماجه) للأثيوبي.

١٢- (المعجم الأوسط) للطبراني.... وغيرها...